

محاضرات
في

علوم القرآن

للمعلّمة المحقّق الفقير إلى رحمة مولاه

فضيلة الأستاذ الجليل

السيد أحمد ياسين^{رحمته} بن أحمد الختاري

المدني الأزهري الحسيني المتوفى في ١٢/٧/١٣٨٠هـ
رحمه الله رحمة الأبرار وعفوه

مفح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

نجل المؤلف

السيد ياسين أحمد ياسين الختاري

شكر وتقدير

يتقدم أبناء المؤلف . رحمه الله . بالشكر والتقدير إلى كل
مَن ساهم في إخراج هذا الكتاب مراجعة وتصحيحاً
 وإخراجاً فنياً وتنفيذاً وجزى الله الجميع خيراً الجزاء



الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م

جميع حقوق الطبع محفوظة للورثة

بموجب تصريح وزارة الإعلام رقم ١٣١٩ / م / ٣
تاريخ ١٤١٣ / ١١ / ٦ هـ المدينة المنورة

طُبعت بمطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دارالعلم) بجدة
ص.ب ٤٧٩٧ جدة ٢١٤١٢ ت: ٦٧١٢١٠٠ المملكة العربية السعودية
الإخراج الفني والتنفيذ: سيد حفني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد و تقديم:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين.

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين.

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد: لا يخفى على القارئ الكريم أن هذه المحاضرات أعدها وألقاها سيدي الوالد الكريم رحمه الله تعالى في مجالس السمر التي كان يقضيها مع إخوانه وأصدقائه من العلماء والأدباء والمفكرين خلال أشهر عام ١٣٥٥هـ وقد سمعت منه وهو يحدث بعض أقرانه من الأفاضل أنه كان يطلب منه بعض أصدقائه الذين يحضرون الندوات والسمرات المختلفة والمقامة في البيوت، إلقاء محاضرات في علوم القرآن الكريم حيث كان رحمه الله متخصصاً في ذلك.

وقد حاولت جمع كل ما أعده وألقاه من محاضرات في علوم القرآن الكريم فلم أعثر إلا على هذه المحاضرات الثمانية.

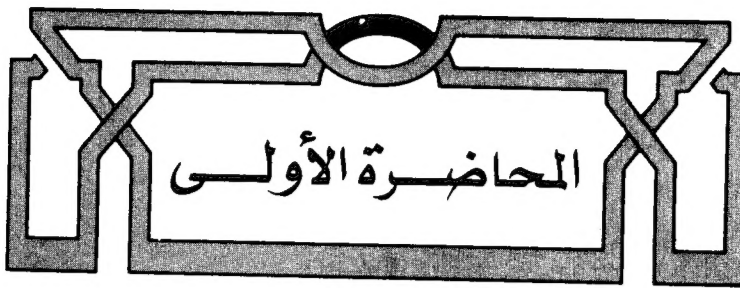
ولما كنت قد جندت نفسي وإخواني الأشقاء وبدأنا في إظهار مؤلفات الوالد الكريم للقراء الكرام، للاستفادة منها، وقد ساعدنا في ذلك العديد من رجال العلم والفضل ومدوا يد العون والمساعدة العلمية والجهود المشكورة في إظهار مؤلفات والدنا الكريم رحمه الله تعالى فجزاهم الله عنا وعن والدنا خير الجزاء وأثابهم على ذلك بالسعادة والمغفرة في الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب.

وأرجو من المولى العليّ القدير أن يوفقنا جميعاً لإظهار باقي مؤلفات الوالد ليتم الانتفاع بها، فلا ينقطع عنه مدد الرحمة والمغفرة على ما بذله من جهد في خدمة العلم.

والله ولي التوفيق،

نجل المؤلف الأكبر

السيد ياسين أحمد ياسين الخياري



المحاضرة الأولى

من محاضرات علوم القرآن الكريم

سادتي الأفاضل . وأصدقائي الأماثل.

محاضرة هذه الليلة ستكون إن شاء الله تعالى في موضوع من أهم المواضيع وأنفعها على الإطلاق وأفضلها على العموم إذ هي في حقائق القرآن وعنوانها: «علوم القرآن الكريم».

لقد اخترت هذا العنوان لمحاضرتي لأنني شغوف جداً بعلوم القرآن الكريم ولعل الباري جلّ وعلا يوفقني لإصدار مجلة علمية في هذه البلدة المقدسة باسم - مجلة علوم القرآن - فأستلفت أنظاركم الكريمة إلى هذا الموضوع وما سيذكر فيه فإنه في باب غريب وفي موضوعه عجيب .
لا يخفى على حضراتكم أن علوم القرآن كثيرة جداً لأن القرآن هو الأصل لجميع العلوم والفنون بدون استثناء .

قال تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٢).

فهو مشتمل على جميع ما في هذا الكون إجمالاً وتفصيلاً: قال صلى الله عليه وسلم: في وصف القرآن «كلام فيه نبا من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم»^(٣).

ولما تحقق للعلماء كل ذلك أضحووا يتبارون في كشف أسرارهِ ومخبآتِهِ والإحاطة بمكنوناته فكثرت من جراء ذلك علوم القرآن وانتشرت في العالم ومن

(١) سورة الانعام [آية ٣٨].

(٢) سورة النحل [آية ٨٩].

(٣) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مسند الإمام أحمد.

عجيب صنع الحق سبحانه أنه يتفضل على عالم بعد آخر فيفتح له من الأسرار والعلوم في القرآن الكريم ما لم يفتح به فيه لمن سبقه وينير ذهن عالم صغير في موضوع أشكل على العالم الكبير حتى لا يَغْتَرُّ العالم الكبير بعلمه ولا يحتقر العالم الصغير ما مَنَّ الله به عليه فالقرآن - والأمر ما ذكرنا بَحْر العلوم والفنون - سبَّح فيه العلماء وغاصوا في أعماقه فتنافَسوا في إيضاح معانيه وإظهار مبانيه. فمنهم مَنْ عُنِيَ بحفظ ألفاظه وتجويده، ومنهم من وقَّف نفسه للبحث عن رواياته وقراءاته، ومنهم من أعرب ألفاظه، ورأى اللذة في ذلك، ومنهم من نحا نحو علماء السيرة فاستخرج منه حقائقه، ومنهم من انبرى لتفسير ألفاظه، ومنهم من وقَّف نفسه على أخذ الأحكام الفقهية منه، ومنهم من سلك مسلكاً غريباً في تفسيره على قاعدة كتب اللغة من ذكر الباب والفصل، ومنهم من نظم معانيه نظماً بديعاً على القواعد الشعرية، ومنهم من اختار علوم اللغة العربية فراح يبحث عنها وعن غريبها في القرآن، ومنهم من اعتنى بذكر المتشابهات وما أكثرها في القرآن، ومنهم من حصر أبحاثه في علوم البلاغة الكامنة في القرآن، ومنهم مَنْ عُنِيَ بالقصص المذكورة فيه والتي وصفها الله تعالى بالحسن في قوله تعالى:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ (١).

ومنهم ومنهم الخ... مما لا يمكن إحصاؤه ولا يستطيع استقصاؤه ولقد أخبرني من أثق به أنه يوجد في جامعة (ديوبند) بالهند ثلاثمائة تفسير كل واحد خلاف الآخر. ورأينا أخيراً مَنْ عُنِيَ بإخراج علوم الكائنات والأكوان من القرآن واستخراج الأدلة منه للمخترعات والمستحدثات

﴿ وَلِكُلِّ وَجْهٍ هُومُولِيهَا فَاسْتَقِمْوا الْخَيْرَاتِ ﴾ (٢).

القرآن أيها السادة معجز كل الإعجاز وهو يتحدى بطلب سورة أو آية من مثله وغير ممكن ذلك.. قال تعالى:

(١) سورة يوسف [آية ٢].

(٢) سورة البقرة [آية ١٤٨].

﴿ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١)

القرآن كلام الله تعالى الذي نزل به الرُّوح الأمين على قلب سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم وتعبدنا الله بتلاوته. ولقد وصل إلينا بالتواتر مع حفظه من كل تبديل وتغيير قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢)

نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم. منجماً أي مفزاً حسب الوقائع والحوادث، وكانت مدة نزوله ثلاث وعشرون سنة وآخر نزوله في السنة العاشرة من الهجرة وأول آية نزلت قوله تعالى:

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (٣)

وآخر آية نزلت منه قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأُمِّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٤).

روى عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه لما سمع هذه الآية بكى بكاءً شديداً لأنه علم منها قرب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حيث انتهت مهمته وأدى ما بعث لأجله. وقد كان ما فهم وتم ما علم فتوفى سيد الكائنات، ومصدر الخيرات، ومنبع السعادات صلى الله عليه وسلم في السنة نفسها التي نزلت فيها هذه الآية.

لقد حوى القرآن الكريم جميع ما في الكتب السماوية المقدسة وزاد عليها بالمفصل وكانت التوراة وهي من بعض الكتب السماوية ألف سورة وكل سورة

(١) سورة الإسراء [آية ٨٨].

(٢) سورة الحجر [آية ٩].

(٣) سورة العلق [الآيتان ١، ٢].

(٤) سورة المائدة [آية ٣].

ألف آية فكانت حمل بعير. فانظروا رحمكم الله إلى هذا المقام العظيم والفضل الكبير الذي خص الله به نبينا صلى الله عليه وسلم حيث اختصر له الكتب السماوية جميعها في كتابه وزاد عليها بخمسة أجزاء لذلك قال صلى الله عليه وسلم: «أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً».

ولقد بلغ من تأثير القرآن الكريم وبلاغته في الوليد بن المغيرة حينما سمعه يتلى أن قال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو من قول البشر.

سادتي الأفاضل:

يطلب منا القرآن الكريم التفكير في الأمور، والتعقل في الحوادث، والتبصر في الوقائع فيقول

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) ﴿ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴾ ^(٢) ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٣).

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٤).

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(٥).

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ﴾ ^(٦).

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ^(٧).

ويرشدنا القرآن إلى أنه لا يحتاج إلى عنف ولا إلى شدة في الوصول إلى الأذهان النيرة والعقول المفكرة فيقول تعالى:

- (١) سورة هود [آية ٥١] - سورة الأنعام [آية ٣٢] - سورة يوسف [آية ١٠٩] - سورة يس [آية ٦٨].
- (٢) سورة الزخرف [آية ٥١] - سورة القصص [آية ٧٢] - سورة الذاريات [آية ٢١].
- (٣) سورة يونس [آية ٣] - سورة هود [آية ٢٤] - سورة النمل [آية ١٧] - سورة المؤمنون [آية ٨٥] - سورة الصافات [رقم ١٥٥].
- (٤) سورة الزمر [آية ٢١].
- (٥) سورة النحل [آية ١٢] - سورة الروم [آية ٢٤] - سورة الرعد [آية ٤].
- (٦) سورة طه [الآيتان ١٢٨، ٥٤].
- (٧) سورة ق [آية ٣٧].

- ﴿ إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَئِكَ إِلَّا لَيْبٍ ﴾ (١).
- ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٢).
- ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣).
- ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ (٤).
- ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴾ (٥).
- ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٦).
- ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٧).
- ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٨).
- ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٩).

القرآن الكريم يدعونا إلى اتباع العقل وتحرير الفكر ولكن أي العقول وأي الأفكار التي يدعو إلى اتباعها وإلى تحريرها؟ إنه يدعو إلى اتباع العقول المفكرة التي استضاءت ظلماتها بنور العلم واتخذت منه منهاجاً وسناً سارت عليه فنفعت وانتفعت، ويدعو إلى تحرير الفكر السليم الذي سار على خط مستقيم لا يقبل الاعوجاج بوجه من الوجوه ولا الخروج عن جادة الصواب قيد أنملة فيقول:

- (١) سورة الزمر [آية ٩].
- (٢) سورة البقرة [آية ٢٥٦].
- (٣) سورة يونس [آية ٩٩].
- (٤) سورة المائدة [آية ٩٩].
- (٥) سورة هود [آية ١٢].
- (٦) سورة الغاشية [آية ٢١].
- (٧) سورة القصص [آية ٥٦].
- (٨) سورة العنكبوت [آية ٤٦].
- (٩) سورة فصلت [آية ٣٤].

﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١)
 ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾^(٢)
 ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾^(٣)
 ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ
 الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾^(٤)
 ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي
 فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
 وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾^(٥)
 ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي
 الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٦)

لقد بحث العلماء الغربيون والمستشرقون الأوربيون في معاني القرآن
 الكريم فوصلوا إلى علوم جمة أفادوا بها العالم أجمع وما زالوا يستخرجون من
 درره وجواهره الشيء الكثير والعدد الوفير.

(١) سورة الاعراف [آية ١٨٥].

(٢) سورة يوسف [آية ١٠٥].

(٣) سورة الذاريات [آية ٢١].

(٤) الانبياء [آية ٣٠].

(٥) سورة البقرة [آية ١٦٤].

(٦) سورة ال عمران [آية ١٩١].

سأقص عليكم في هذا الباب بعض القصص التي مررت بها أو مرت بي
تأييداً لما ذكرت.

بحث بعض علماء الغرب في القرآن كله فلم يجد كلمة تحقير ألصقت بأحد
الأنبياء والمرسلين المتقدمين بل وجد ضد ذلك من المدح والحمد والشكر
والثناء وإظهار الفضائل والمعجزات مما يعجز عنه أفحل العلماء فهده ذلك إلى
الدين الإسلامي واعتناقه.

وبحث بعضهم في القرآن فمرت عليه آية استغربها كل الاستغراب هي قوله
تعالى:

﴿بَلَىٰ قَدَرِينٌ عَلَىٰ أَنْ تُسَوِّىَ بَنَانَهُ﴾ (١).

ففكر طويلاً في البنان وقارن بينها وبين السمع والبصر والذوق والشم واللمس
وما أشبه فوجد أن حاسة من هذه الحواس وما شابهها في نظره تفوق بكثير هذه
البنان التي امتن الله على عباده بتسويتها. ففكر وقدر وأرجع البصر. وكان
يشغل في قسم الهندسة فهده الله ونور عقله إلى ترك الهندسة - والاشتغال
بعلم التشريع في عالم الطب. فلما وصل إلى البنان كاد أن يصعق من هول ما
رأى وما علم من سعة علم الله تعالى وقدرته فاعتنق الإسلام من توه، ورأى وجوباً
عليه أن يظهر هذا العلم الذي هداه الله إليه خاصة، ولم يكن قبله يظهر لأحد
حتى ولا لأساتذته ورؤسائه فألف وكتب ونشر وحرر وأظهر علماً جديداً للعالم
ضمه إلى العلوم الكثيرة المتداولة وأطلق عليه «علم بصمات الأصابع» وسار
في طريق اختراعه هذا حتى أظهر منه أيضاً علماً آخر يقال له: «علم الكف»
متمم للأول وراح يؤيد لنا ذلك بالخرائط العديدة التي رسمها خصيصاً لفنه
الجديد وعلمه المديد وقام يثبت لنا بالأدلة القاطعة والحجج الدامغة أن بصمة
إبهام اليد اليسرى لا تتفق في شكلها وخطوطها مع أي إبهام مثلاً في العالم
كله، فلم يخلق الله إبهامين في يد يسرى تتفق في أشكالها ورسومها وخطوطها
ودوائرها ولقد استفادت من هذا العلم جميع الدول في القبض على المجرمين
بأخذ بصمة إبهام يدهم اليسرى فأنشئت في جميع الممالك الشرقية والغربية
دوائر خاصة لهذا العلم ألحقت رسمياً بدوائر الشرطة، فكل من اشتبهوا فيه

أخذوا بصمة إصبعه وعرضوها على هذه الدوائر الفنية فلو غاب بعد ذلك عشرات الأعوام ورجع إلى القطر وقد تغير شكله من الصغر إلى الكبر من الشباب إلى الشيب ومن الصحة إلى المرض فتغيرت معالمه وأشكال جسمه أمكنهم مع كل ذلك القبض عليه بدون مشقة ولكن بعد أخذ بصمة إبهام يده اليسرى ثانية وعرضها على الدوائر المختصة بذلك وموافقتها للأولى. وذلك لأن الرسوم الهندسية والأشكال الغريبة الإلهية المرسومة على إبهام يده اليسرى لا تتغير قط من يوم ولادته حتى يوم وفاته فانظروا رحمكم الله كيف استخرج هذا المستشرق العظيم هذا العلم الواسع الذي أصبح له أثره في العالم كله من آية صغيرة نقرأها نحن صباحاً مساءً ولا يكاد يخطر لنا ببال ما كنز الله فيها من فوائد.

أظن أنني أكثرت عليكم الآن وأطلت في الموضوع ولا يخفى أن هذا بحر لا ساحل له فلنمسك القلم الآن ونوفي الموضوع حقه إن شاء الله في ليلة أخرى وإلى الملتقى القريب إن شاء الله تعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٢/٤ / عام ١٣٥٥ هـ.





المحاضرة الثانية

«علوم القرآن الكريم»

سادتي الأفاضل - وأصدقائي الأماثل. «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

لقد ألقيت محاضرتي الأولى تحت عنوان علوم القرآن في ليلة الخميس المبارك الموافق اثني عشر من شهر ربيع الآخر من عامنا الحاضر سنة ١٣٥٥هـ في جمع حافل بالسادة الأفاضل أمثالكم في منزلنا ووعدت سامعيتها الكرام بمتابعتي البحث في هذا الموضوع الخطير لإيفائه حقه وها أنا أفي بوعدي فأتشرف بالمثل بين يديكم لإلقاء محاضرتي الثانية في علوم القرآن الكريم أيضاً فأرجو التكرم بسماعها ولكم الشكر على ذلك.

علوم القرآن أيها السادة كثيرة جداً ربما زادت أصولها على الثلاثمائة ولقد تخصص بعض العلماء للبحث فيها ووضع المؤلفات القيمة في مواضيعها نذكر منهم على طريق التمثيل الإمام عبدالله بن محيي الدين الكافجي من أشياخ الإمام السيوطي فلقد ألف كتاباً سماه «علوم التفسير»، والإمام بدر الدين بن محمد بن عبدالله الزركشي فلقد ألف كتاباً في ذلك سماه «البرهان في علوم القرآن» ولالإمام علم الدين البلقيني قاضي القضاة فلقد ألف كتاباً سماه «مواقع العلوم من مواقع النجوم» ثم تعاقب العلماء على التأليف في هذا الموضوع الخطير فألف العلامة ابن الجوزي كتاباً سماه «فنون الأفنان في علوم القرآن» وألف العلامة علم الدين السخاوي كتاباً في ذلك سماه «جمال القرآن» وألف العلامة أبو شامة كتاباً سماه «بالمرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز» وألف العزيزي بن عبد الملك أبو المعالي الشهير بشيدله كتاباً في الموضوع نفسه أطلق عليه اسم «البرهان في مشكلات القرآن» ثم جاء دور إمام الأئمة جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي فألف كتاباً أسماه «التحبير في علوم التفسير» ثم أعقبه بكتاب أوسع منه وأكبر سماه «الإتقان في علوم

القرآن» وقع في مجلدين جعلهما كمقدمة لتفسيره الكبير الذي سماه «مجمع البحرين ومطلع البدرين» الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية.

وخلاصات أبحاث هؤلاء الأئمة تدور على معرفة المكي والمدني من الآيات والحضري والسفري منها والنهاري والليلي والصيفي والشتائي والفراشي والنومي والأرضي والسمائي منه وأول ما نزل وآخر ما نزل وأسباب النزول وما نزل على لسان بعض الصحابة وما تكرر نزوله وما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه وما نزل مفرقا وما نزل جمعا وما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم كيفية إنزاله ومعرفة أسمائه وأسماء سورته وجمعه وترتيبه وعدد سورته وآياته وكلماته وحروفه ثم في حفاظه ورواته ومعرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشواذ ومعرفة الوقف والابتداء وعلوم تجويده وآداب تلاوته وإعرابه ومعرفة غريبه وما وقع فيه بغير لغة العرب وفي معرفة الوجوه والنظائر والمحكم والمتشابه والمقدم منه والمؤخر وعامه وخاصه وبدائعه ومجمله وبيئته وناسخه ومنسوخه ومشكله ومطلقه ومقيدته ومنطوقه ومفهومه ووجوه مخاطباته وحقيقته ومجازه وتشبيهه واستعاراته وكناياته وتعرضه وفي الخطر والاختصاص والإيجاز والإطناب والخبر والإنشاء وفواصل الآي وفواتح السور، وخواتمها ومناسبة الآيات والسور في إعجاز القرآن والعلوم المستنبطة منه وفي الأمثال المضروبة فيه ثم في أقسام القرآن الكريم وفي الأسماء والكنى والألقاب وفي المبهمات وفي أسماء من نزل فيهم القرآن الكريم وفي فضائله وفي مفرداته وخواصه وفي مرسوم الخط وآداب كتابته ومعرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة الشديدة إليه وفي شروط المفسر وآدابه وغرائب التفسير ثم في طبقات المفسرين وكيفية النطق بالضاد وكل من هذه الفنون خصص بعشرات المؤلفات.

سأدتي الأفاضل :

تعلمون مما سبق ذكره أن القرآن من أشرف العلوم وأفضلها ومن أكمل الفنون وأجملها وهو في الواقع أعلاها قدراً وأكثرها ذكراً وأسناها مبنى وأسمائها

معنى وأدقها فكراً وأرقها سرّاً وأحلاها لساناً وبياناً وأوضحها سبيلاً وأصحها دليلاً فيه النهي والأمر والمنع والزجر والتفريح والتبشير والتخويف والتحذير جعله الله ميزاناً للتدبر والتذكر والتفكير والتبصر...

ولقد ألف أئمة السلف في أنواع علومه كتباً كثيرة كل منهم على قدر فهمه ومبلغ علمه ولقد قرروا أن أحسن التفاسير تفسير القرآن بالقرآن ثم تفسير القرآن بالحديث ووضعوا تعريفاً للتفسير فقالوا:

«التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تُحمَل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك» ثم شرحوا هذا التعريف شرحاً مختصراً فقالوا فيه: إن لفظ «علم» يشمل سائر العلوم وأن معنى كونه «يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن» وفيه الإشارة إلى علم التجويد والقراءات وإن في معنى «مدلولاتها» أي مدلولات تلك الألفاظ إشارة إلى علم اللغة الذي تحتاج إليه كل الاحتياج في فهم القرآن الكريم وأن معنى قولهم «أحكامها» الإفرادية والتركيبية فيه إشارة إلى علم النحو والصرف والبيان والبديع وأن معنى «تتمات لذلك» فيه إشارة إلى معرفة النسخ وسبب النزول.

ومن ذلك كله يتضح لنا أن هؤلاء العلماء خصهم الله بفتح جديد ورأي سديد ومادة إلهية غزيرة وعلوم كثيرة وعقل راجح وعمل ناجح إذ لم يتركوا شاردة ولا واردة في هذا القرآن الكريم وعلومه إلا أتوا بها بعد أن بذلوا الجهد وأفرغوا ما في وسعهم فوضعوا لتحقيقه علوماً عدة وجعلوا لها فروعاً وأصولاً وبدأوا يتخصصون فيه فكل منهم اختص بموضوع من مواضيعه الهامة وأطلق عليه اسماً خاصاً به يميزه عن سواه. فقوم اختصوا بضبط حروفه ومعرفة مخارجها ومعرفة الوقف والابتداء ومعرفة مرسوم الخط وما يتصل بذلك، وأطلقوا على علمهم هذا اسم «التجويد». وقوم اختصوا بالبحث في أوجهه ورواياته وقرآته وبحثوا عن متواترها وآحاديها وشاذها وما يتصل بذلك وأطلقوا على علمهم اسم «علم القراءات» وقوم اختصوا بضبط لغاته وحركاتها وسكناتها ومعرفة اللهجات وأقسام لغات العرب وأطلقوا على علمهم اسم (علم اللغة) وقوم تخصصوا في البحث عن إعراب القرآن ومعرفة ألفاظه وتصريفها وما يتصل بذلك وأطلقوا على

علمهم هذا اسم «علم النحو والصرف» وقوم اختصوا في البحث عن إعراب القرآن فصاحته وبلاغته ووجوه إعجازه وتحسينه وأطلقوا على علمهم اسم «علم البيان» وقوم اختصوا بتحقيق مبانيه وتوقيف معانيه وأطلقوا على علمهم هذا اسم علم «التفسير» وقوم اختصوا بالبحث في أدلته العقلية وشواهد الأصلية فاستنبطوا منها الدلائل الكافية على وحدانية الخالق تعالى وقدرته وما إلى ذلك وأطلقوا على علمهم هذا اسم «علم التوحيد» وقوم اختصوا بالتأمل في معاني خطاباته فوجدوا بعضها يقتضي العموم وبعضها يقتضي الخصوص فأطلقوا على علمهم هذا اسم «علم الأصول» وقوم اختصوا في البحث عن أسرارهِ وعجائبه ومخباته وأطلقوا على علمهم هذا «علم التصوف» وقوم اختصوا بالبحث عن أحكام القرآن فاستنتجوا منه الحلال والحرام لمصلحة العباد وعمار البلاد وأطلقوا على علمهم هذا اسم «علم الفقه» وهكذا وكل طائفة تبحث في قسم من الأقسام وفي علم من العلوم تستنتج من القرآن الكريم وتسميه باسم اصطلاحى تميزه عن غيره ومع كل ذلك - أيها السادة - لم يتمكن العلماء من الاطلاع حتى الآن على أسرار القرآن وخفاياه الحقيقية كلها إذ هو بحر عميق لا ساحل له ودليل ذلك أنا رأينا من استنبط منه أخيراً علم الهيئة وعلم الهندسة وعلم النجوم وعلم الفلك والعلوم المستحدثات من القرآن الكريم. وحقا لقد صدق رسول الله حيث قال في وصف القرآن: «هو الذي لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبهِ». ولقد قرر القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه «قانون التأويل» أن علوم القرآن الكريم سبعة وسبعون ألفاً وأربعمائة وخمسون علماً على عدد آياته..

حلاوة وهي أحلى من جنى الضرب^(١)
يفتن من عجب إلا إلى عجب
وحكمة أودعت في أفصح الكتب
وروضة يجتنيها كل ذي أدب

نعم السميع كتاب الله إن له
به فنون المعاني قد جُمعن فما
أمر ونهى وأمثال وموعظة
لطائف يجتليها كل ذي بصر

(١) الضرب: العسل.

قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (١).

وأحب أن أسرد عليكم بعض الأحاديث النبوية الواردة في فضل القرآن الكريم والحث على تعلمه وحفظه والفوائد الناتجة عن ذلك.

١ - قال النبي صلى الله عليه وسلم: « اتلو هذا القرآن فإن الله يأجركم بالحرف عشر حسنات » (٢) أما إني لا أقول [ألم] حرف ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف.

٢ - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظم الله » (٣)

٣ - وقال عليه الصلاة والسلام: « أفضل الكلام بعد القرآن وهنَّ من القرآن أربع لا يضرك بأيهن بدأت (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) » (٤)

٤ - وقال صلى الله عليه وسلم: « أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن » (٥).

٥ - وقال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: « حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة » (٦).

٦ - وقال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: « أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » (٧).

٧ - وقال صلى الله عليه وسلم: « حبل الله هو القرآن » (٨).

(١) سورة النور [الآية ٤٠].

(٢) رواه الترمذي - حديث حسن صحيح.

(٣) رواه عمر رضي الله عنه - حديث حسن صحيح.

(٤) رواه سمرة رضي الله عنه - لأحمد في مسنده.

(٥) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .. للبيهقي في شعب الإيمان.

(٦) رواه الحسين بن علي رضي الله عنه .. للطبراني في الكبير.

(٧) رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه .. البخاري والترمذي والإمام أحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجه.

(٨) رواه الديلمي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

٨ - وقال صلى الله عليه وسلم: « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » (١).

٩ - وقال صلى الله عليه وسلم: « ألا إنها ستكون فتنة: قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وما المخرج منها يارسول الله قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن أبغى الهدى في غيره أضله الله. وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا:

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ سورة الجن [من الآيتين ١، ٢].

من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» (٢).

١٠ - وقال صلى الله عليه وسلم: « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » (٣).

١١ - وقال صلى الله عليه وسلم: « من قرأ القرآن فأحكمه وعمل بما فيه ألبس والداه يوم القيامة تاجاً ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه فما ظنكم بالذي عمل به » (٤).

١٢ - وقال صلى الله عليه وسلم: « أغنى الناس حملة القرآن من جعله الله تعالى في جوفه » (٥).

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح - التبيين ص ٦٩.

(٢) رواه الترمذي في سننه.

(٣) رواه مسلم والإمام أحمد في مسنده، عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٤) عن معاذ بن أنس رواه الإمام أحمد في الحاكم والمستدرک وسنن أبي داود.

(٥) عن أبي ذر - رواه ابن عساکر. الجامع الصغير حديث رقم ٢٩١٥.

١٣ - وقال عليه الصلاة والسلام: « إن الرجل الذي ليس في قلبه شيء من القرآن كالبيت الخراب »^(١).

١٤ - وقال عليه الصلاة والسلام: « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته من خلقه »^(٢).

١٥ - وقال عليه الصلاة والسلام: « خيركم من قرأ القرآن وأقرأه وفي رواية خيركم من تعلم القرآن وعلمه »^(٣).

١٦ - وقال عليه الصلاة والسلام: « من شغله القرآن عن ذكرى أعطيته وما سألني أعطيته أفضل ما أعطى السائلين »^(٤).

١٧ - وقال عليه الصلاة والسلام: « أفضل العبادة قراءة القرآن وفي رواية أفضل عبادة أمتي القرآن »^(٥).

١٨ - وقال عليه الصلاة والسلام: « حملة القرآن أولياء الله فمن عاداهم عادى الله ومن والاهم فقد والى الله »^(٦).

١٩ - وقال عليه الصلاة والسلام: « من قرأ (يس) في يوم وليلة ابتغاء وجه الله غفر له »^(٧).

٢٠ - وقال عليه الصلاة والسلام: « ليس منا من لم يتغن بالقرآن »^(٨).

أيها السادة :

هذه عشرون حديثاً أوردتها هنا لإظهار فضل القرآن الكريم وكفى بها من شهادة.

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه - رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، والحاكم في المستدرک وقال حديث صحيح.

(٣) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه - وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه - رواه البخاري والترمذي وابن ماجه، ومسلم في الجامع الصغير رقم: ١٢٥٣٥.

(٤) رواه الترمذي وقال حديث حسن، التبيان ص ١٨.

(٥) رواه ابن قانع عن أسير بن جابر السنجري في الأمانة عن أنس / الجامع الصغير ٢٩٥٢.

(٦) رواه ابن النجار عن ابن عمر رضي الله عنه .. للدليمي في مسند الفردوس.

(٧) رواه أبو هريرة رضي الله عنه، للطبراني في الكبير والأوسط والصغير.

(٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري والإمام أحمد في مسنده وأبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرک.

ولقد قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى ورضى عنه في مؤلفه المنقطع
النظير الكثير النفع الجليل الفائدة المسمى «حز الأمانى ووجه التهاني في
فضل القرآن وحامله» ما يأتي:

وبعد فحبل الله فينا كتابه
ثم قال:

وإن كتاب الله أوثق شافعٍ
وخير جليس لا يمل حديثه
وحيث الفتى يرتاع في ظلماته
هناك يهنيه مقيلاً وروضة
يُنَاشِدُ في إرضائه الحبيبة
فيا أيها القارىء به متمسكا
هنيئاً مريئاً والداك عليهما
فما ظنكم بالنجل عند جزائه
أولو البر والإحسان والصبر والتقى
عليك بها ما عشت فيها منافسا
إلى أن قال:

بنفسي مَنْ استَهْدَى إلى الله وحده
وَطَابَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ فَتَفَتَّقَتْ
قُطُوبِي لَهُ وَالشُّوقُ يَبْعَثُ هَمَّهُ
هو المجتنبى يَغْدُو على الناسِ كلهم

وقال في أول باب التكبير!!!

رَوَى الْقَلْبُ ذَكَرُ اللَّهِ فَاسْتَسْقَى مُقْبِلًا
وَأَثَرَ عَنِ الْآثَارِ مَثْرَاءَ عَذَابَةٍ
وَلَا عَمَلٌ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِهِ
وَمَنْ شَغَلَ الْقُرْآنُ عَنْهُ لِسَانُهُ
وَلَا تَعْدُ رَوْضَ الذَّاكِرِينَ فَتُحْمَلًا
وَمَا مِثْلُهُ لِلْعَبْدِ حَصْنًا وَمَوْئِلًا
عَدَاةَ الْجَزَا مِنْ ذِكْرِهِ مُنْقَبِلًا
يَنْلُ خَيْرَ أَجْرِ الذَّاكِرِينَ مُكْمَلًا

وما أفضل الأعمال إلا افتتاحه مع الختم جلا وارتحالا موصلا

سادتي الأفاضل

لقد ورد أن لكل كتاب سرأ وإن سر هذا القرآن فواتح السور الأربعة عشر:
«كالم والمر والمص وكهيعص وحم وحم عسق ويس وطه ون وق، وص»
وهذه في الحقيقة دالة على علم عظيم يسمى علم الحرف، ولقد ورد أن حروف
ألم - ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه فالألف مفتاح اسمه الله
واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه مجيد، فالألف آلاء الله واللام
لطف الله والميم مجد الله وليس منها حرف إلا وهو في مدة قوم - وأجالهم -
فالألف سنة واللام ثلاثون والميم أربعون وبهذه المناسبة أحب أن أقص عليكم
قصة غريبة ذكرها ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» وهي:

إن السلطان صلاح الدين لما فتح مدينة حلب أنشد أمامه القاضي محي الدين
قصيدة بائية أجاد فيها كل الإجابة وكان من جملتها: قوله:

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب
فكان كما قال فسئل القاضي من أين لك هذا؟ فقال أخذته من تفسير ابن برجان
في قوله تعالى:

﴿لَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ
سِنِينَ﴾^(١).

قال المؤرخ فلم ازل أطلبه - أي التفسير المذكور - حتى وجدته على هذه
الصورة.

وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً خاصاً في استخراجها ولذلك نظائر كثيرة منها
استنباط ابن الكمال فتح مصر على يد السلطان سليم من قوله تعالى:

(١) سورة الروم [الآيات ١-٤].

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرَاتِ آلَافَ مِائَةٍ بِرِثْهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحِينَ ﴾ (١).

ومنها استنباط بعضهم عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث وستين سنة من
قوله تعالى في سورة المنافقين:

﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ (٢)

بأنها على رأس ثلاث وستين سورة من أول القرآن من سورة البقرة، ولقد
أعقبها تعالى بسورة التغابن إلى إشارة لظهور التغابن بعد فقده صلى الله عليه
وسلم.

سادتي الأفاضل:

لقد حوى القرآن غير لغات العرب الفصحى بعض لغات أعجمية أوصلها
بعضهم إلى ستة عشر لغة وخصصت لها المؤلفات المهمات وأهمها لغات
القرآن لأبي القاسم والمتوكلي للسيوطي وتلخيصه له والمهذب نيماء وقع في
القرآن من المعرب للسيوطي أيضاً، ومما قالوه إن اللغات الأعجمية الثابتة في
القرآن والمعربة فيه هي: «الفارسية - والنبطية - والحبشية - والرومية -
والسريانية - والعبرانية - والمغربية - والزنجية - والقبطية - واليهودية -
والعجمية - واليونانية - والهندية - والتركية - والبربرية - والهورانية»
ولنذكر على طريق التمثيل شيئاً من هذه اللغات للعلم بها هنا إتماماً للفائدة
المنشودة فنقول:

ورد من اللغة الحبشية في القرآن ما يأتي:

شطر «بمعنى تلقاء» والجبت «بمعنى الشيطان» والطاغوت «بمعنى الكاهن»
والحوب «بمعنى الإثم» والأواه «بمعنى المؤمن أو الموقن أو الرحيم» وأبلعى

(١) سورة الأنبياء [آية ١٠٥].

(٢) سورة المنافقين [آية ١١].

«بمعنى أزدي» ومتكأ «بمعنى الأشرج» وطوبى «بمعنى الجنة» وسكراً «بمعنى الخَلّ» وطه «بمعنى يا محمد أو يارجل» والسجل «بمعنى الرجل» والمشكاة «بمعنى الكوة» وأؤبى «بمعنى سبى» ومنسأته «بمعنى عصاه» ويس «بمعنى يا إنسان أو يا رجل» وكِفلين «بمعنى ضعفين» وناشئة الليل «بمعنى قيام الليل» ومنفطر «بمعنى ممتلىء» وقسورة «بمعنى الأسد» ويحور «بمعنى يرجع» والأرائك «بمعنى السرر» ودُرّي «بمعنى المضيء» وغيض «بمعنى نقص»:

وورد فيه من الفارسية ما يأتي:

الاستبرق «بمعنى الديباج» الغليط وكورت «بمعنى غورت» ومقاليد «بمعنى مفاتيح» ومنها أيضاً أباريق، وبيع، وكنائس، والتنور، وجهنم، ودينار، والرس، والروم، وزنجبيل، وسجين، وسرادق، وسفر، وسلسبيل، ووردة، وسندس، وقرطاس، وأقفال، وكافور، وكنز، والمجوس، وياقوت، والمرجان، والمسك، وهود، واليهود.

وورد فيه من الرومية ما يأتي:

فصرهن «بمعنى قطعهن» والفردوس «بمعنى البستان» والقسط والقسطاس «بمعنى العدل والميزان» وطفقا «بمعنى قصدا». والرقيم «بمعنى اللوح أو الكتاب أو الدواة» والصراط «بمعنى الطريق».

وورد فيه من الهندية ما يأتي:

أبلعي «بمعنى اشربي» وطوبى «بمعنى الجنة» والسندس (بمعنى الرقيق من الديباج).

وورد فيه من السريانية ما يأتي:

سرياً (بمعنى النهر أو الجدول) وطه (بمعنى يا رجل) وجنات (بمعنى الكروم والأعناب) والطور (بمعنى الجبل) ولات (بمعنى ليس). ورهو. (بمعنى ساكناً) وسجداً (بمعنى مقنعي الرأس) والقيوم (بمعنى الذي لا ينام) والأسفار (بمعنى الكتب) والقُمَّل (بمعنى الذياب) واليم (بمعنى البحر) وصلوات (بمعنى الكنائس).

وورد فيه من العبرانية ما يأتي:

كفرَّ «معنى محا» وأخلد إلى الأرض «بمعنى ركن» وهدنا «بمعنى تبنا» ومرقوم

«بمعنى مكتوب» والرمز «بمعنى تحريك الشفتين» والثوم «بمعنى الحنطة» والأواه «بمعنى الداعي» والأليم «بمعنى الموجع» والبعير «بمعنى الحمار» ومنها أيضاً درست، وحطت، والأسباط، وراعنا، والرحمن، والقسيسون.

وورد فيه من النبطية ما يأتي:

أسفاراً «بمعنى كتباً» والحواريون «بمعنى غسالو الثياب» والأكواب «بمعنى الجرار التي ليست لها عرى» وسَفَرَة «بمعنى القراء» والفردوس «بمعنى الكرم» والملوكوت «بمعنى الملك» وهَيْت لك «بمعنى هلم لك» ورهواً سهلاً دمساً وعبدت «بمعنى قتلت» وملك «بمعنى أمام» وقطنا «بمعنى كتابنا» وإصري «بمعنى عهدي» وكفر «بمعنى أمح» ومقاليد «بمعنى مفاتيح» وكفلين «بمعنى نصيبين» واليم «بمعنى البحر» وورز «بمعنى ملجأ أو جبل» وإلا، ولا ذمة الإل هو اسم الله تعالى:

وورد فيه من القبطية ما يأتي:

متكاً «بمعنى الأترج» ومناص «بمعنى فرار» ومزجاة «بمعنى قليله» وبطائنها «بمعنى ظواهرها» والأولى «بمعنى الأخرى» والأخرى «بمعنى الأولى».

وورد فيه من التركية ما يأتي:

غساقاً «بمعنى البارد والمنتن:

وورد فيه من الزنجية ما يأتي:

حصب «بمعنى خطب» والمنسأة «بمعنى العصاة».

وورد فيه من البربرية ما يأتي:

المهل «بمعنى عكر الزيت وإناء نضجة» وآنية «بمعنى جارية» ويصهر «بمعنى ينضج».

هذا أيها السادة قليل من كثير ورد في القرآن الكريم ولقد أخرج ابن جرير في تفسيره عن سعيد بن جبير قال: قالت قريش لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا فأنزل الله تعالى قوله:

﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَتَعْجَمِي وَعَرَبِيٌّ﴾ (١)

(١) سورة فصلت [آية ٤٤]

وأُنزل بعد هذه الآية القرآن بكل لسان، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن جرير عن أبي ميسرة عمر بن شرحبيل قال نزل القرآن بكل لسان وأخرج ابن المنذر في تفسيره: «ما من اللغة شيء منها في القرآن شيء - إلا منها في القرآن شيء»، ونقل الثعالبي عن بعضهم قال: ليس لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن.

وقال الإمام النقيب في تفسيره: من خصائص القرآن على سائر كتب الله أنه نزل بلغة القوم الذين أنزل عليهم لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم. والقرآن الكريم احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير..

ولقد قرر أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء وأنه كله بلسان عربي وهم لذلك يتأولون قوله تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ (١)

وقوله: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (٢)

والأكثر من أهل العلم يصدقون القولين ويقولون إن الحروف وإن كانت أصولها أعجمية كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بالسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال: إنها عربية فهو صادق ومن قال: إنها عجمية فهو صادق.

سادتي الأفاضل وأصدقائي الأمثال

لقد أكثرت عليكم جدا ولكن الموضوع اقتضى هذا التطويل فأرجوكم عدم المؤاخذة وأملّي في عفوكم عظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١١-١٢/٥/١٣٥٥هـ

(١) سورة الزخرف [آية ٣]

(٢) سورة الشعراء [آية ١٩٥]



المحاضرة الثالثة

ساداتي الأفاضل - وأصدقائي الأماثل. «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».
يسرني جداً أن أتابع بحثي للمرة الثالثة في علوم القرآن:
الموضوع الذي أخذت على عاتقي القيام به.

لقد استعرضت علوم القرآن فأخذت لمحاضرتي منها هذه الليلة المباركة.
علم القراءات:

وسأقدم بين يدي بحثي هذا مقدمة في فضائل القرآن الكريم وآدابه ومقام
حفاظه ورواته وأتبع ذلك بإلمامة بسيطة بفضل تجويده ثم أشرح معنى الحديث
الشريف «أنزل القرآن على سبعة أحرف» ثم أبحث في السبب الحقيقي الذي
أوجب تحرير فن القراءات ونشره في أنحاء المعمورة وأذكر شيئاً عن القراء
العشرة ورواتهم ووفياتهم وساختصر ذلك اختصاراً غير مخل بالموضوع.

١ - ورد عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن القرآن
غني لا فقر بعده ولا غني دونه»^(١)

٢ - وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الماهر في القرآن مع
السفرة الكرام البررة»^(٢).

٣ - وعنه صلى الله عليه وسلم: «يا جابر ألا أخبرك بخير سورة نزلت في
القرآن، فاتحة الكتاب فيها شفاء من كل داء»^(٣).

٤ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله
به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول «ألم» حرف ولكن ألف حرف ولام

(١) رواه أبي رضي الله عنه.. للنسائي

(٢) عن عائشة رضي الله عنها رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه.

(٣) رواه جابر رضي الله عنه للبيهقي في شعب الإيمان.

حرف وميم حرف»^(١).

٥ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «البيت الذي يقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم في الأرض»^(٢)

٦ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نُورُوا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن»^(٣)

٧ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كُلُّ مُؤَدَّبٍ يَجِبُ أَنْ تُؤْتِيَ مَادِبَتَهُ وَمَادِبَةُ اللَّهِ الْقُرْآنَ فَلَا تَهْجُرُوهُ»^(٤)

٨ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «زِينُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(٥).

٩ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا»^(٦)

١٠ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ وَالْمُسَرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسَرِّ بِالصَّدَقَةِ»^(٧)

١١ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ نَزَلَ بِحُزْنٍ وَكَآبَةٍ فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا»^(٨)

١٢ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «حَسِّنِ الصَّوْتَ زِينَةَ الْقُرْآنِ»^(٩)

١٣ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ بِلُحُونِ الْعَرَبِ وَأَصْوَاتِهَا»^(١٠)

١٤ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَرَأَ: (وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ) فَانْتَهَى إِلَى آخِرِهَا فَلْيَقُلْ: بَلَى وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَمَنْ قَرَأَ (لَا أَقْسَمُ بِیَوْمٍ

(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه - رواه البيهقي في شعب الإيمان.

(٢) عن عائشة رضي الله عنها - رواه البيهقي في شعب الإيمان.

(٣) عن أنس رضي الله عنه - رواه البيهقي في شعب الإيمان.

(٤) عن سمرة رضي الله عنه - رواه البيهقي في شعب الإيمان.

(٥) عن البراء بن عازب رضي الله عنه. أخرجه أبو داود، والنسائي وابن ماجه والدارمي وقال حديث صحيح.

(٦) عن البراء رضي الله عنه - رواه الحاكم في المستدرک.

(٧) عن معاذ رضي الله عنه - رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

(٨) عن سعد بن مالك مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم. الشعب للبيهقي.

(٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه - رواه الطبراني في الكبير.

(١٠) عن حذيفة رضي الله عنه - رواه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الأوسط.

القيامة) فانتهى إلى آخرها - أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى -
فليقل: بلى. ومن قرأ (والمرسلات) فبلغ - فبأي حديث بعده يؤمنون -
فليقل: آمنا بالله..»^(١)

١٥ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن
واتلوه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار وأفشوه وتدبروا ما فيه لعلمكم
تفلقون»^(٢).

١٦ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ القرآن - أو قال جمع القرآن
- كانت له عند الله دعوة مستجابة إن شاء عجلها له في الدنيا وإن شاء
ادخرها له في الآخرة»^(٣).

١٧ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ القرآن فنسيه لقي الله يوم
القيامة أجزم»^(٤)

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد
بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها»^(٥)

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن ربي أرسل أن أقرأ القرآن على حرف
فرددت إليه أن هوّن على أمتي فأرسل إليّ أن أقرأ حرفين فرددت إليه أن
هوّن على أمتي فأرسل إلى أن أقرأه على سبعة أحرف»^(٦)

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد
أكرم الله ألا فلا تنقصوا حملة القرآن حقوقهم فإنهم من الله بمكان، كاد حملة
القرآن أن يكونوا أنبياء إلا أنه لا يوحى إليهم»^(٧).

سادتي الأفاضل: هذه عشرون حديثاً أوردتها هنا وهي غير الأحاديث التي
أوردتها في فضل القرآن في محاضرتي السابقة.

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه - رواه أبو داود والترمذي.

(٢) رواه عبيدة المليك رضي الله عنه - للطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) رواه جابر رضي الله عنه - للطبراني في الأوسط.

(٤) رواه أبو داود في التبيان ص ٢٨.

(٥) رواه مسلم ج٢ - فضائل القرآن ص/ ٤٢٥ رقم ١٨١٢١.

(٦) عن أبي بن كعب رضي الله عنه - رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

(٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما - رواه الديلمي.

ومما يدلنا على اعتناء الحق جل وعلا بالقرآن الكريم وأنه هو المقصود
الأعظم والمطلب الأهم وأنه به تنشرح الصدور وتستنير القلوب.
إن الله سمى القرآن الكريم بخمسة وخمسين اسماً في كتابه الكريم وهي:
كتاباً، مبيناً قرآناً، كريماً، كلاماً، ونوراً، وهدي، ورحمة، وفرقاناً، وشفاءً،
وموعظة، وذكرأً، ومباركاً، وعلياً، وحكمة، وحلماً، ومهيماً، وحبلاً، وصراطاً
مستقيماً، وقيماً، وقولاً، وفضلاً، ونبأً عظيماً، وأحسن الحديث، ومثاني ومتشابهها،
وتنزيلاً، وروحاً، ووحياً وعربياً، وبصائرأً، وبياناً، وعلماً، وحقاً، وهادياً، وعجباً،
وتذكرة، والعروة الوثقى، وصدقاً، وعدلاً، وأقرأ، ومنادياً، وبشرى، ومجيداً،
وزبوراً، وبشيراً، ونذيراً، وعزیزاً وبلاغاً، وقصصاً، وصحف مكرمة، وصحف
مرفوعة، وصحف مطهرة.

سادتي الأفاضل:

حفاظ القرآن الكريم المتقنين له في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أربعة
وهم: عبد الله بن مسعود - وسالم - ومعاذ - وأبي بن كعب.
اثنان منهم من المهاجرين، واثنان من الأنصار، ولقد طوق جيدهم بمنن
عظيمة، وفضائل جسيمة سيد الخليفة صلى الله عليه وسلم حيث قال مشيراً إلى
فضلهم ورضائه عنهم: «خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود،
وسالم، ومعاذ - وأبي بن كعب»^(١). أما عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي
بن كعب فمعروفون وأما سالم فهو ابن معقل مولى أبي حذيفة ولقد مَهَرَ في
تجويد القرآن العظيم وحفظه مع الإتقان بعد العصر النبوي أضعاف هؤلاء:
قُتِلَ سالم مولى أبي حذيفة في وقعة اليمامة، ومات معاذ في خلافة عمر بن
الخطاب، ومات أبي وابن مسعود في خلافه عثمان بن عفان رضى الله تعالى
عنهم أجمعين.

ولقد نقل إلينا الإمام القرطبي رحمه الله تعالى أن وقعة اليمامة قُتِلَ فيها
سبعون من القراء وقُتِلَ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ببئر معونة مثل هذا
العدد، ونقل إلينا الإمام الحافظ الذهبي في طبقات القراء أن من اشتهر بإقراء

(١) عن ابن عمر رضي الله عنه / رواه الترمذي والحاكم في المستدرک.

القرآن من الصحابة سبعة عثمان بن عفان، وعلى، وأبي، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري، ولقد تجرد قوم بعدهم لإقراء القرآن بالتجويد والقراءات واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا أئمة يُقتدى بهم. ويُرحل إليهم فكان منهم بالمدينة أبو جعفر، ثم نافع، وبمكة عبد الله ابن كثير، وبالكوفة عاصم بي أبي النجود، ثم حمزة، والكسائي، وبالبصرة أبو عمرو بن العلاء ثم يعقوب الحضرمي وبالشام عبد الله بن عامر وهؤلاء قد اشتهروا شهرة عظيمة في جميع الآفاق فأما نافع بن محمد، فقد أخذ عن سبعين من التابعين وعن بعض الصحابة وممن أخذ عنهم أبو جعفر وابن كثير. وأما أبو عمرو فقد أخذ عن التابعين، وأما ابن عامر فقد أخذ عن أبي الدرداء وأصحاب عثمان، وأما عاصم فقد أخذ عن التابعين، وأما حمزة أخذ عن عاصم. وأما الكسائي فقد أخذ عن حمزة ثم انتشرت القراءات في الأقطار وتفرقوا أمماً بعد أمم، واشتهر من رواة كل طريق من طرق السبعة راويان فمن «نافع» قالون وورش، «وعن ابن كثير» البزى وقنبل، وعن «أبي عمرو البصري» الدوري والسوسي، «وعن ابن عامر» هشام وابن ذكوان. وعن «عاصم» شعبة وحفص، وعن «حمزة» خلف وخلاد، وعن «الكسائي» الدوري وأبو الحارث، وعن أبي جعفر» وردان وابن حبان، «وعن يعقوب» روبس وروح، «وعن خلف» اسحاق وإدريس.

ثم لما اتسع الخرق وكاد الباطل أن يلتبس بالحق قام جهابذة الأمة وبالقوا في الاجتهاد وجمعوا الحروف والقراءات وعزوا الوجوه والروايات وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ بأصول أصولها وأركان فصولها فأول من صنّف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلّام، ثم أحمد بن جبير الكوفي، ثم أبو جعفر بن جرير الطبري ثم أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني، ثم أبو بكر بن مجاهد، ثم قام الناس في عصره وبعده بالتأليف في أنواعها جامعاً ومفرداً وموجزاً ومسهباً وأئمة القراءات لا تحصى.

وقد صنّف في طبقاتهم حافظ الإسلام أبو عبد الله الذهبي، ثم حافظ القراء أبو الخير بن الجزري، ثم ألف في الموضوع نفسه الإمام أبي عمرو الداني كتاباً سماه التيسير كما ألف نظاماً إمامنا العظيم وحجتنا في هذا العلم الإمام

الشاطبي رحم الله الجميع وقدس سرائرهم ونفعنا بهم وجميع المسلمين.

سادتي الأفاضل:

لقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جودوا القرآن» وقال الغزّاء التجويد حلبة القارئ، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ورد الحرف إلى مخرجه وأصله وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط، ولا تكلف وإلى ذلك أشار صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» يعني ابن مسعود وكان رضي الله عنه قد أعطي حظاً عظيماً في تجويد القرآن ولا شك أن الأئمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده هم متعبدون بصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصبغة المتقاة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحناً فقسموا اللحن إلى جلي وخفي فاللحن خلل يطرأ على الألفاظ فيخل إلا أن الجلي يخل إخلالاً ظاهراً يشترك في معرفته علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقوه من أفواه العلماء وضبطوه من ألفاظ أهل الأداء قال ابن الجزري، ولا أعلم لبلوغ النهاية في التجويد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن.

سادتي الأفاضل:

لقد كان الاعتماد في نقل القرآن الكريم على حفظ القلوب والصدور لا على المصاحف والكتب وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى بها على هذه الأمة. فأخبر تعالى أن القرآن الكريم لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرؤه في كل مجال - كما جاء في صفة أمته: أنه جعله في صدورهم وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرؤنه كله إلا نظراً لا عن ظهر قلب.

ولما خص الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم حرفاً

(١) عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - رواه الإمام أحمد في مسنده والطبراني في الكبير وأبي يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه.

حرفاً لم يهملوا منه حركة ولا سكونا ولا إثباتاً ولا حذفاً ولا دَخَلَ عليهم في شيء منه شك ولا وهم وكان منهم من حفظه كله ومنهم مَنْ حفظ أكثره ومنهم مَنْ حفظ بعضه كل ذلك كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولما توفى النبي صلى الله عليه وسلم وقام بالأمر بعده أحق الناس به . أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقاتل الصحابة رضوان الله عليهم أهل الردة وأصحاب مسيلمة وقتل من الصحابة نحو خمسمائة أشير على أبي بكر بجمع القرآن في مصحف واحد خشية أن يذهب بذهاب الصحابة فتوقف في ذلك من حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك بشيء ثم اجتمع رأيهم ورأي الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على ذلك ، فأمر زيد بن ثابت بتتبع القرآن وجمعه فجمعه في صحف كانت عند أبي بكر رضي الله تعالى عنه حتى توفى ثم عند عمر رضي الله تعالى عنه حتى توفى ثم عند حفصة رضي الله تعالى عنها .

ولما كان في نحو ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه . حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية وأذربيجان فرأى الناس يختلفون في القرآن يقول أحدهم للآخر قراءتي أصح من قراءتك فأقرعه ذلك وقدم على عثمان وقال : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن ابعتي إلينا بالمصحف ننسخه ثم نرده إليك فأرسلته إليه فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف وقال : إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلفظ قريش فإنما نزل بلسانهم فكتب منها عدة مصاحف فوجه بمصحف إلى البصرة ومصحف إلى الكوفة ومصحف إلى الشام ، وترك مصحفاً بالمدينة وأمسك لنفسه مصحفاً وهو الذي يقال له الإمام ، ووجه بمصحف إلى مكة وبمصحف إلى اليمن ، وبمصحف إلى البحرين ، وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك كل ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذونا فيه توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتاً فتعين أنه من القرآن وجردت هذه المصاحف جميعها من النُّقْط والشكل يحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان الاعتماد على الحفظ لا على مجر الخط وكان من جملة الأحرف التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم

بقوله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»^(١) فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرصة الأخيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به غير واحد من أئمة السلف.

ثم إن القراء كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا وعرفت طبقاتهم واختلفت صفاتهم فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف فقط وكثر بينهم لذلك الاختلاف وقل الضبط فقرروا أركاناً للقرآن ثلاثة فقالوا كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه من الوجوه ووافقت المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ولقد نظم هذه الأركان إمام القراء ابن الجزري رضي الله عنه في طيبته فقال:

فكُلُّ ما وافق وَجْهٌ نَحْوِي	وكان للرسم احتمالاً لا يحوي
وصَحِّ إسناداً هو القرآنُ	فهذه الثلاثة الأركانُ
وحيث ما يختلُّ ركنٌ أثبت	شذوذه لو أنه في السبعة

سادتي الأفاضل:

لقد ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه»^(٢)

وهذا الحديث صحيح متفق عليه ولفظه للبخاري وفي لفظ مسلم إن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال أسأل الله معافاته ومعونته وأن أمتي لاتطيق ذلك ثم أتاه الثانية على حرفين فقال له مثل ذلك ثم أتاه الثالثة بثلاثة فقال له مثل ذلك ثم أتاه

(١) عن حذيفة رضي الله عنه / رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٢) عن عمر رضي الله عنه - رواه البخاري والنسائي.

الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا»^(١) وورد أن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف وإن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد وذلك أن الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم والنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها عربيها وعجميها وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها أو من حرف إلى آخر بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا استطاع ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول من لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئاً وكهلاً لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل لسان وقطع للعادة فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات لتيسيره عليهم في الدين ولقد اختلفت العلماء في معنى سبعة أحرف فقال بعضهم سبعة أوجه وقال بعضهم سبع لغات من لغات العرب وهي:

قريش - وهذيل - وثقيف - وهوازن - وكنانة - وتميم - واليمن . ومعنى ذلك أنها متفرقة فيه فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وبعضه بلغة ثقيف وبعضه بلغة كنانة، وبعضه بلغة تميم: وقال بعضهم المراد بها معاني الأحكام كالحلال، والحرام، والمحكم، والمتشابه، والأمثال، والإنشاء، والأخبار.

وقال بعضهم الناسخ، والمنسوخ، والخاص، والعام، والمجمل، والمبين، والمفسر.

وقال بعضهم الأمر، والنهي، والطلب، والدعاء، والخبر، والاستخبار، والزجر، وقال بعضهم الوعد، والوعيد، والمطلق، والمقيد، والتفسير، والإعراب، والتأويل:

(١) ذكر في فضائل القرآن للقسطلاني ج ٧ ص ٤٥١.

وقال بعضهم: إن اللغات الفصحى سبع وإن أصول قبائل العرب تنتهي إلى سبعة.

وقال بعضهم: ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص بل المراد السبعة التيسير وأنهم لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب من حيث إن الله تعالى أذن لهم في ذلك، والعرب يطلقون لفظ السبع والسبعين والسبعمئة ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر ولقد حقق هذا الاختلاف ابن الجزي إمام هذا الفن فقال: ولا زلت أستشكل ذلك وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله عليّ بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله تعالى وذلك أنني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هي يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها وذلك إما في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة، وإما في الحروف بتغيير المعنى لا الصورة أو عكس ذلك أو بتغييرهما وأما في التقديم والتأخير أو في الزيادة والنقصان فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها.

سادتي الأفاضل :

أريد أن أذكركم شيئاً عن العشرة القراء على طريق الاختصار أيفاء بالوعد وإتماماً للموضوع فأقول:

١ - الإمام الأول: «نافع» هو ابن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى جعونة الليثي ولد سنة ٧٠هـ سبيعين للهجرة وحظي بسكنة طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه وكان إمامها ومقرئها وتوفي بها سنة ١٦٩هـ «تسع وستين ومائة للهجرة على الصحيح» وراويه - قالون، وورش، فقالون هو عيسى بن مينا لقب بقالون لجودة قراءته لأنه بلغه الروم جيد وكان الوحيد من القراء في المدينة ولد سنة ١٢٠هـ ستة عشرين ومائة للهجرة وتوفي بها سنة ٢٢٠هـ سنة عشرين ومائتين للهجرة كما صوبه في النشر - وورش هو أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري لقب بورش لشدة بياضه ولد بمصر ١١٠هـ عشر ومائة للهجرة ثم رحل إلى المدينة وقرأ على نافع بها ثم عاد إلى مصر وكان مقرئها وتوفي بها ١٩٧هـ

سبع وتسعين ومائة.

٢ - الإمام الثاني: «ابن كثير» هو عبد الله مولى عمرو ببلده مكة ولد بها سنة ٤٥هـ خمسة وأربعين للهجرة وكان إمامها ومقرئها وتوفي بها سنة ١٢٠هـ عشرين ومائة للهجرة بغير شك ورواته - البزي - وقنبل - أما البزي فهو أحمد بن محمد بن عبد الله ولد سنة ١٧٠هـ سبعين ومائة للهجرة وكان مؤذن المسجد الحرام وإمام الناس بمكة وتوفي سنة ٢٥٠هـ خمسين ومائتين للهجرة - وقنبل - هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد ولقب بقنبل لشدته ولد ١٩٥هـ خمس وتسعين ومائة للهجرة وكان إمام الناس بالحجاز وتوفي سنة ٢٩١هـ إحدى وتسعين ومائتين للهجرة وهؤلاء تلقوا القرآن بالقراءات السبع على ابن كثير بالواسطة.

٣ - الإمام الثالث: «أبو عمرو البصري» هو ابن العلاء المازني من بني مازن ولد سنة ٦٨هـ ثمان وستين للهجرة وقيل سنة ٧٠هـ سبعين للهجرة نشأ بالبصرة وكان إمامها وتوفي بالكوفة سنة ١٥٤/١٥٥هـ أربعة وخمسين أو خمسة وخمسين ومائة للهجرة ونقل عنه الدوري والسوسي فالدوري - هو أبو عمرو حفص بن عمرو البغدادي الضرير مقرئ وقته وتوفي في شوال سنة ٢٤٦هـ ستة وأربعين ومائتين للهجرة كما صوبه في النشر والسوسي هو صالح أبو شعيب كان ثقة ضابطاً وتوفي سنة ٢٦١هـ إحدى وستين ومائتين للهجرة وقد قارب السبعين.

٤ - الإمام الرابع: «ابن عامر الشامي» - هو عبد الله بن عامر بن زيد الحصي ولد سنة ٦١هـ إحدى وستين للهجرة بدمشق الشام وأقام بها وكان قارئها وقاضيها وتوفي بها يوم عاشوراء سنة ١١٨هـ مائة وثمانية عشر للهجرة وروى عنه هشام وابن ذكوان فهشام هو بن عمار بن نصير الدمشقي ولد سنة ١٥٣هـ ثلاثة وخمسين ومائة للهجرة وكان عالم دمشق وخطيبها ومفتيها وتوفي سنة ٢٥٤هـ أربعة وخمسين ومائتين للهجرة وابن ذكوان - هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي ولد يوم عاشوراء ١٧٣هـ ثلاث وسبعين ومائة للهجرة وكان شيخ القراء بالشام على الإطلاق ومات ٢٤٢هـ اثنين وأربعين ومائتين للهجرة وهؤلاء لم يرووا عن ابن عامر نفسه بل بالواسطة.

٥ - الإمام الخامس: «عاصم الكوفي» هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة مات ١٢٧هـ سبعة وعشرين ومائة للهجرة وراويه / شعبة - وحفص - فشعبة هو ابن عياش بن سالم الكوفي ولد سنة ٩٥هـ خمس وتسعين للهجرة وكان حجة ثقة ومات في شهر جمادى الأولى سنة ١٩٢هـ ثلاثة وتسعين ومائة للهجرة - وحفص - هو أبو عمرو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي ولد سنة ٩٠هـ تسعين للهجرة وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءة عاصم وتوفي سنة ١٨٠هـ ثمانين ومائة للهجرة على الصحيح.

٦ - الإمام السادس: «حمزة الكوفي» - هو ابن حبيب بن عمارة بن اسماعيل الكوفي الزيات ولد سنة ٨٠هـ ثمانين للهجرة وكان إمام الناس بالكوفة وتوفي سنة ١٥٠هـ خمسين ومائة للهجرة وروي عنه خلف وخلاد - ف خلف - هو ابن هشام البزاز وخلاد هو بن خالد الشيباني كان إماماً ثقة في القراءة مات سنة ٢٢٠هـ عشرين ومائتين للهجرة.

٧ - الإمام السابع: «علي الكسائي الكوفي» - هو علي بن حمزة الكسائي بن تميم الكوفي كان إمام الناس في القراءة وكان ذا كرم وحشمة وجاء عريض مات سنة ١٨٩هـ تسعة وثمانين ومائة للهجرة وبه تم عدد القراء السبعة وراويه أبو الحارث - والدوري - فأبو الحارث بن خالد البغدادي كان ثقة محققاً مات سنة ٢٤٠هـ مائتين وأربعين للهجرة - والدوري هو أبو عمرو حفص بن عمر المتقدم ذكره عن أبي عمرو.

٨ - الإمام الثامن: «أبو جعفر» - هو يزيد بن القعقاع المخزومي المدني انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة مات سنة ١٣٥هـ خمس وثلاثين ومائة للهجرة وروي عنه عيسى وابن جمار فعيسى هو أبو الحارث بن وردان المدني كان رئيساً في القراءة وتوفي سنة ١٩٥هـ خمس وتسعين ومائة للهجرة وابن جمار هو سليمان بن مسلم بن جمار الزهري كان مقرأً جليلاً ضابطاً مات سنة ١٧٥هـ خمس وسبعين ومائة.

٩ - الإمام التاسع: «يعقوب الحضرمي» - هو ابن اسحاق بن زيد بن عبد الله بن اسحاق الحضرمي كان إماماً كبيراً ثقة انتهت إليه رئاسة الإقراء بالبصرة وكان

إمام جامعها مات سنة ٢٠٥هـ خمس ومائتين للهجرة وراويها - رويس - وروح،
فرويس هو ابن عبدالله محمد بن متوكل البصري كان إماماً في القراءة ضابطاً
مشهوراً مات سنة ٢٣٨هـ ثمانية وثلاثين ومائتين للهجرة وروح هو ابن
عبد المؤمن كان ثقة ضابطاً مقرئاً مات سنة ٢٣٤ أربعة وثلاثين ومائتين للهجرة.

١٠ - الإمام العاشر: «خلف البزاز» - هو خلف بن هشام بن ثعلب البزاز ولد
سنة ١٥٠هـ خمسين ومائة للهجرة وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين وكان إماماً
جليلاً ثقة مات سنة ٢٢٩هـ تسعة وعشرين ومائتين للهجرة وراويها إسحاق
وإدريس فإسحاق - هو ابن إبراهيم بن عثمان بن عبدالله البغدادي كان قيمياً
بالقراءة ضابطاً ثقة انفرد برواية اختبار خلف عنه مات سنة ٢٨٦هـ ستة
وثمانين ومائتين للهجرة وإدريس هو ابن عبد الكريم الحداد كان إماماً ضابطاً
محققاً مات سنة ٢٩٢هـ اثنين وتسعين ومائتين للهجرة.

سادتي الأفاضل:

لقد أطلت عليكم في هذه المحاضرة فارجو عدم المؤاخذه والأمل في عفوكم
عظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٣٥٥هـ





المحاضرة الرابعة

سادتي الأفاضل - وأصدقائي الأماثل.

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ».

لا شك أن من موجبات سروري العظيم أن أتوفر على خدمة علوم القرآن بالبحث فيها والتنقيب عنها والوصول إلى حقائقها، والوقوف على دقائقها، فالواقع أنها تحلوا لي جداً، ويحلوا لي دوام إلقاء محاضراتي فيها فهذه «ولله الحمد والمنة» - المحاضرة الرابعة التي يتسنى لي إلقاؤها عليكم وبين يديكم في علوم القرآن وستكون إن شاء الله محتوية على شيء من فضائل القرآن الكريم وآدابه ونبذة من علوم التجويد وشيء من علوم الوقف والابتداء مع إيضاح وقوف النبي صلى الله عليه وسلم، وإمامة بسيطة من علوم الرسم للمصاحف العثمانية القديمة، ومقدار لا بأس به من علم مبهمات القرآن وسأقدم بين يدي هذه العلوم مقدمة إيضاحية ثم أختتمها بخاتمة حسنة إن شاء الله تعالى. وبما أنني عودت نفسي ابتداء من المحاضرة الثانية أن أذكر في كل محاضرة من محاضراتي في علوم القرآن عشرين حديثاً في فضل القرآن وآدابه - وفضل حافظه ومعلمه وما لهما من المزية بين أبناء جلدتهم فسيراً على هذه الخطة واتباعاً لهذه القاعدة، سأذكر هنا عشرين حديثاً غير التي ذكرتها بالمحاضرتين: الثانية والثالثة، وبتمامها يتم لنا ستون حديثاً في موضوع واحد هو الإشادة بالقرآن وعلومه ومزيته من يتوفر على خدمتها، وسيكون ذلك في أواخر المقدمة، أما الخاتمة فسأذكر طرفاً من إعجاز القرآن الكريم فيها وخصوصاً في عصرنا الحاضر، فأقول: ومن الله استمد المعونة والتوفيق.

مقدمة إيضاحية:

نزل القرآن الكريم من لدن حكيم عليم على نبيينا العظيم عليه أفضل السلام

وأتم التسليم بلغة العرب، ولسان العرب، وبلاغة العرب، وأساليب العرب، فكانوا كلهم يفهمون معانيه ويفقهون مبانيه في تراكيبه ومفرداته، ورواياته، وقراءاته، وكان ينزل جملاً جملاً مفصلاً تارة وتارة مجملًا وآيات متشابهات ومحكمات حكم بينات بالألباب آخذات وذلك لبيان الأفراد في التوحيد للخالق المجيد، ولإيضاح الفروض الدينية، والعلوم الكونية، من تاريخ وأدب، وقصص، وأنساب، وفلك، وحساب، وغيرها وغيرها، مما لا يحصى كثرة، ومنها أيضاً ما هو في العقائد الإيمانية، ومنها ما هو في أحكام الجوارح، ومنها ما يتقدم، ومنها ما يتأخر، ويكون ناسخاً له، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين المجمل من المفصل والناسخ من المنسوخ ويعلم أصحابه ذلك ليضموه إلى ما علموا من سبب نزول الآيات، ومقتضى الأحوال الظاهرات، ونقل ذلك عنهم باقي الصحابة رضوان الله تعالى عنهم أجمعين، وتداول ذلك التابعون من بعدهم، ونقل ذلك عنهم، ولم يزل متناقلاً بين الصدر الأول والسلف الصالح حتى صارت علوم القرآن تعد بالمئات بل بالآلاف وذلك لما اكتشفوه من المعاني واستوضحوه من المباني ولقد نفعت - ولله الحمد والشكر - أسواق علوم القرآن في هذه الأمة المحمدية بما لا مزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية المنشودة، فهذبت اصطلاحاتها ورتبت فنونها، وإشاراتها فجاءت غاية في الحسن والتنميق وآية في التمهيص، والتحقيق، وكان لكل فن رجال يرجع إليهم في الوصول إليه وأوضاع يستفاد منها التعليم لمن أراد الحصول عليه.

سأدتي الأفاضل:

ها أنا أتلو عليكم مقداراً من الأحاديث النبوية في خصوص القرآن، فأرجو التكرم بسماعها:

١ - قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اقرأوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به»^(١)

(١) عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه رواه الإمام أحمد في مسنده والطبراني في الكبير وأبي يعلى في مسنده والبيهقي في شعب الإيمان.

- ٢ - وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَأُكُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى»^(١).
- ٣ - وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَيْسَ أَلِ اللَّهِ بِهِ فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَسْأَلُونَ النَّاسَ بِهِ»^(٢).
- ٤ - وقال صلى الله عليه وسلم: «سَيُخْرِجُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْقُرْآنَ كَشَرِبِهِمُ اللَّبَنَ»^(٣).
- ٥ - وقال صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَابْتَغُوا بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يَقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقَدْحِ وَلَا يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ»^(٤).
- ٦ - وقال صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَعْلَمُ وَلَدَهُ الْقُرْآنَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا تُؤَجُّ أَبْوُهُ بِتَاجٍ فِي الْجَنَّةِ يَعْرِفُ بِهِ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِتَعْلِيمِ وَلَدِهِ الْقُرْآنَ فِي الدُّنْيَا»^(٥).
- ٧ - وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَخَذَ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ قَوْسًا قَلَدَهُ اللَّهُ مَكَانَهَا قَوْسًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»^(٦).
- ٨ - وقال صلى الله عليه وسلم: «مِثْلُ الْمُؤْمَنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِثْلُ الْأُتْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمِثْلُ الْمُؤْمَنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِثْلُ الثَّمَرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَخَلْوٌ، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِثْلُ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مَرٌّ، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مَرٌّ»^(٧).
- ٩ - وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْفَعُ بِهَذَا الْكَلَامِ أَقْوَامًا وَيُضَعُّ بِهِ آخَرِينَ»^(٨).

(١) رواه مسلم كذا في التبيان ص ٢٣.

(٢) عن عمران بن حصين رضي الله عنهما رواه الإمام أحمد في مسنده. والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه - للطبراني في الكبير.

(٤) عن جابر رضي الله عنه - رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وأبو داود.

(٥) رواه أبو هريرة رضي الله عنه - للطبراني في الأوسط.

(٦) عن أبي الدرداء رضي الله عنه - رواه الطبراني في الكبير.

(٧) عن أبي موسى رضي الله عنه - رواه ابن حبان في صحيحه.

(٨) عن عمر رضي الله عنه - رواه ابن حبان في صحيحه.

١٠ - وقال صلى الله عليه وسلم: «يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول لصاحبه أنا الذي أسهرت ليلك وأظمت نهارك»^(١).

١١ - وقال صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»^(٢).

١٢ - وقال عليه الصلاة والسلام: «اقرأوا القرآن فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن وإن هذا القرآن مادبة الله تعالى فمن دخل فيه فهو آمن ومن أحب القرآن فليبش»^(٣).

١٣ - وقال عليه الصلاة والسلام: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»^(٤).

١٤ - وقال عليه الصلاة والسلام: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»^(٥).

١٥ - وقال عليه الصلاة والسلام: «لو أن القرآن في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق»^(٦).

١٦ - وقال عليه الصلاة والسلام: «زَيَّنُوا القرآن بأصواتكم»^(٧).

١٧ - وقال عليه الصلاة والسلام: «لقد أوتيت مزمراً من مزامير آل داود»^(٨).

ويفسر هذا الحديث حديث البراء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه».

(١) رواه بريدة رضي الله عنه - لابن ماجه، وللحاكم في المستدرک.

(٢) ذكر في كتاب فضائل القرآن ج ٢ ص ٤٢٤ رفق ١٨١٦.

(٣) رواه الدارمي بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - التبيين ص / ٢٠.

(٤) رواه أبو داود وهو حديث حسن - التبيين ص ٢٧.

(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه - متفق عليه - رياض الصالحين - حديث رقم ١٠٠٤ / ١ ص / ٤٢٢.

(٦) رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه - لأحمد في مسنده وأبي يعلى في مسنده، للطبراني في الكبير.

(٧) عن عائشة رضي الله عنها - رواه الطبراني في الكبير.

(٨) ذكر في كتاب فضائل القرآن ج ٢ ص ٤٢٥ / رقم ١٨٢٣.

١٨ - وقال: عليه الصلاة والسلام: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة»^(١).

١٩ - وقال عليه الصلاة والسلام: «من لم يتغن بالقرآن فليس منا»^(٢).

٢٠ - وقال عليه الصلاة والسلام: «يرث هذا القرآن قوم يشربونه شرب اللبن لا يُخَلِّفُ تَرائِيقَهُمْ»^(٣).

فضل القرآن الكريم وآدابه:

القرآن أفضل ما على وجه الأرض والسماء، بل هو سجل عام لكل ما في الأرض والسماء، إجمالاً وتفصيلاً: قال تعالى:

﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٤).

وقال تعالى:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٥).

سئلت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت كان خلقه القرآن.
قال الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٦).

وقال صلى الله عليه وسلم في وصف القرآن: «فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وهو الفصل ليس بالهزل»^(٧).

(١) عن معاذ رضي الله عنه - رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي.

(٢) عن أبي لبابة بشير بن عبد المنذر رضي الله عنه - رواه أبو داود بإسناد جيد.

(٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه - رواه أبو النصر في السنجري في الإبانة والديلمي في مسنده.

(٤) سورة الأنعام [آية ٣٨].

(٥) سورة النحل [آية ٨٩].

(٦) سورة القلم [آية ٤].

(٧) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه - مسند الإمام أحمد.

ولقد تعهد الباري جل وعلا بحفظه خاصة دون الكتب السماوية التي تقدمته
فقال:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١).

فما رأيكم فيمن حفظه من المخلوقات، أفلا يكون الحق سبحانه حافظاً لمن
حفظه من كل شيء؟ لا شك أن الجواب سيكون بالإيجاب قطعاً، ولقد قال تعالى:
في وصف من حفظه وداوم على تلاوته:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَكْبُرَ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ
فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٢).

وروى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه وعن باقي الأئمة أنه قال:
«رأيت ربي في المنام فسألته بم يتقرب إليه المتقربون، فقال لي بتلاوة كلامه،
فقلت بفهم أو بغير فهم، فقال لي بفهم وبغير فهم» ولقد قال صلى الله عليه وسلم
في حق من حفظه أن والديه يكسيان تاجاً يوم القيامة فقال: «من قرأ القرآن
وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء
الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا» (٣) ولقد خصص النبي
صلى الله عليه وسلم أوقات الإجابة للدعاء بقراءة القرآن وقرنها به: فقال:
«اقرأوا القرآن واسألوا الله به» (٤) وقال أيضاً: «اقرأوا القرآن فإن الله لا يعذب
قلباً وعى القرآن» (٥) وقال في حق من تعلمه وعلمه «خيركم من تعلم القرآن

(١) سورة الحجر [آية ٩].

(٢) سورة فاطر [آية ٢٩].

(٣) رواه الترمذي والنسائي وأبو داود كذا في التبيان ص ٢٠ وقال حديث صحيح.

(٤) رواه أبو داود والدارمي بإسناده عن عبد الله بن مسعود - التبيان للنووي ص ٢٠.

(٥) رواه أبو داود وروى الدارمي بإسناده عن عبد الله بن مسعود - التبيان للنووي ص ٢٠.

وعلمه» (١) وفي رواية «خيركم من قرأ القرآن وأقرأه» (٢) وقال أيضاً: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة» (٣). وقال أيضاً: «اقرأ القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» (٤).

إلى غير ذلك ما ورد في فضله، جعلنا الله جميعاً من أهله. أما آداب حمل القرآن فمنها أن يكون على أكمل الأحوال البشرية، وأكرم الشمائل الإنسانية، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالاً للقرآن الذي معه، وأن يكون مصوناً عن دناءة الاكتساب، شريف النفس، مرتفعاً على الجبابة والجناء من أهل الدنيا، متواضعاً للصالحين، وأهل الخير والمساكين، وأن يكون متخشعاً ذا سكينة ووقار، فقد جاءنا عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال:

يا معشر القراء ارفعوا رؤسكم فقد وضح لكم الطريق فاستبقوا الخيرات لا تكونوا عيالاً على الناس».

وروى عن الفضيل بن عياض أنه قال: ينبغي لحامل القرآن أن لا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم. وعنه أيضاً أنه قال: حامل القرآن حامل راية الإسلام.

ومن آدابه أيضاً أن يتعوذ عند كل قراءة يريد أن يقرأها وهذا هو الذي عليه جمهور العلماء والقراء لقوله تعالى:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٥).

فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة، لأن موضوعه كبير، وفضله شهير، وخيره كثير، فهو المقصود والمطلوب، به تنشرح الصدور وتستنير القلوب، قال الله تعالى:

(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه - رواه الطبراني في الكبير.

(٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه - رواه الضريس وابن مردويه.

(٣) رواه مسلم والإمام أحمد في مسنده - عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٤) عن عائشة رضي الله عنها - رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه.

(٥) سورة النحل [آية ٩٨].

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (١).

وقال تعالى:

﴿ كَتَبْنَا الْقُرْآنَ عَلَيْكَ تُبْرَأُ وَيَكُونُ أَعْتَابًا لِمَنْ أَهْلَكَ ﴾ (٢).

ومن آدابه أيضاً قراءته بالترتيل وقد اتفق العلماء والقراء على استحباب الترتيل لقوله تعالى:

﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ (٣).

ولقوله تعالى:

﴿ وَفَرَّغْنَا لَهُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ ﴾ (٤).

أي على تأن وتؤدة، ولقد كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكث حتى قال بعض أصحابه (لو أراد السامع أن يعد قراءته صلى الله عليه وسلم حرفاً حرفاً لأمكنه ذلك).

علم التجويد:

علم التجويد هو علم يبحث فيه عن تحسين تلاوة القرآن العظيم من جهة مخارج الحروف وصفاتها وترتيل الآيات ترتيلاً يضمن للحروف حقوقها من وصل، ووقف، ومد، وقصر، وإدغام، وإظهار، وروم، وإشمام، وإخفاء، وتحقيق، وإمالة، وتقليل، وتشديد، وتخفيف، وترقيق، وتفخيم، وتسهيل، وإدخال، وجهر، وركاوة، واشتغال، واستعلاء وانفتاح، وإصمات وهمس، وإطباق، وإذلاق، وقلقلة، ولين، وتفشي، إلى آخره.

وهذا العلم هو نتيجة فنون القراءة وتمرتها وهو كالموسيقى، من جهة أن العلم

(١) سورة محمد [آية ٢٤].

(٢) سورة ص [آية ٢٩].

(٣) سورة المزمل [آية ٤].

(٤) سورة الإسراء [آية ١٠٦].

لا يكفي فيه، بل هو عبارة عن ملكة خاصة من تمرن امرىء بفكه، وتدربه، على التلقي عن أفواه المشايخ المحققين، والتجويد هو التحسين، وهو إعطاء الحروف ما تستحقه من الصفات، وهو فرض عين على كل مكلف قارئ، وموضوعه ألفاظ القرآن، وفائده سعادة الدارين، وغايته صون اللسان من الخطأ في كتاب الله تعالى، وبلوغ الغاية والنهاية في إتقانه على الكيفية التي تلقتها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين من الحضرة النبوية. وللتجويد أركان أربعة:

الأول: معرفة مخارج الحروف وصفاتها

الثاني: معرفة ما يتجدد لها من الأحكام بحسب التركيب.

الثالث: رياضة اللسان بكثرة التكرار.

الرابع: الأخذ من أفواه المشايخ العارفين به.

ولقراءة القرآن بالتجويد ثلاث مراتب، ترتيل، وحدر، وتدوير، فالترتيل: هو التآني في القراءة، والحدر: هو الإسراع بها، والتدوير: هو مرتبة بينهما.

ولقد أجمعت الأمة على وجوب التجويد فجاحده آثم، وهذا مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم: «جَوِّدُوا الْقُرْآنَ» وقوله: «رُبَّ قَارِئٍ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ» قالوا في معنى ذلك هو قارئ القرآن غير المجوّد. وقال الإمام بن الجزري رضي الله تعالى عنه في ذلك:

وَالْأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لَازِمٌ	مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرْآنَ آثِمٌ
لأنه به الإله أنزلا	وهكذا منه إلينا وصلا
وهو أيضا حلية التلاوة	وزينة الأداء والقراءة
وهو إعطاء الحروف حقها	من صفة لها ومستحقها
ورد كل واحد لأصله	واللفظ في نظيره كمثله
مكملا من غير ما تكلف	باللطف في النطق بلا تعسف
وليس بينه وبين فكه	إلا رياضة امرىء بفكه

علم الوقف والابتداء:

الوقف هو الحبس، وهو قطع الصوت زماناً، بتنفس فيه عادة، سواء كان وقع النفس أم لا؟ ووقوع التنفس أفضل، لأن الغرض من الوقف هو الراحة، وراحة القارئ في جرى النفس، والوصل ضد الوقف، وثبت حكم الوقف مأخوذ من قول عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن، فتنزل السورة على النبي صلى الله عليه وسلم، فتتلعلم حلالها، وحرامها، وأمرها، وزجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، ولقد رأينا اليوم رجلاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ولا يدري ما أمره وما زجره، وما ينبغي أن يوقف عنده، وكل حرف منه ينادي «أنا رسول الله إليك لتعمل بي وتتعظ بمواعظي».

وبإجماع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وبتواتره من زمان النبي صلى الله عليه وسلم إلى زماننا هذا تقرر وجوب تعلمه وتعليمه مثل علم التجويد سواء بسواء، ولقد سئل سيدنا علي كرم الله تعالى وجهه عن الترتيل ومعناه فقال: «الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف». ثم إن معرفة الوقف يظهر منه مذهب أهل السنة من مذهب المعتزلة، كما في قوله تعالى:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (١)

فالوقف على يختار هو مذهب أهل السنة لنفي اختيار الخلق لاختيار الحق، فليس لأحد منا أن يختار، بل الخيرة لله تعالى، ولقد أخرج هذا الأثر الإمام الحافظ الحجة البيهقي في سننه، وكذا نص عليه في منار الهدى في الوقف والابتداء.

وروى أنه جاء رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما، ووقف، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم،

(١) سورة القصص [آية ٦٨].

بئس خطيب القوم أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى، فعلم منه أن الوقف باختياره لا يجوز في غير محله.

وقال الأنباري رحمه الله: ومن تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء إذ لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن، إلا بمعرفة الفواصل.

فكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف ولقد ضرب مثل لقارئ القرآن بالمسافر، والمقاطع التي ينتهي إليها القارئ بالمنازل التي ينزلها المسافر، وهي مختلفة بالتام، والكافي، والحسن، والقبيح، كاختلاف المنازل في وجود الماء والكلأ والخطب، ومكان الاستراحة، وغيرها، والناس مختلفون في الوقف، فمنهم من جعله على مقاطع الأنفاس، ومنهم من جعله على رؤوس الآي، والأعدل إنه قد يكون في أوساط الآي، وإن كان الأغلب في أواخرها، ولا يوقف في آخر كل آية، بل يلزم في ذلك اعتبار المعاني، والأنفاس تابعة لها، والقارئ إذا بلغ الوقف، وفي نفسه طول، إن بلغ الوقف الذي يليه فله مجاوزة إلى ما يليه فما بعده، فإن علم أن نفسه لا يبلغ إلى ذلك الوقف، فينبغي أن لا يجاوزة، كالمسافر، إذا لقي منزلاً فيه مكان الاستراحة، والماء، والكلأ، والظل، وغيرها، وعلم أنه إن جاوزه لا يبلغ المنزل الثاني، واحتاج بالضرورة إلى النزول في مفازة لا شيء من الضروريات فيها، فعليه أن لا يجاوزة، فإن عرض للقارئ عجز بعطاس، أو قطع النفس، أو نحوه عندما يكره الوقف عليه، عاد من أول الكلام ليكون الكلام متصلاً ببعضه ببعض، ولئلا يكون الابتداء بما بعده موهماً للوقوع في محذور، كقوله تعالى:

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (١)

فالوقف على قالوا حرام، ووصله بما بعده لازم، وكقوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الَّذِينَ يَمْجُلُونَ

الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسِيحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ (٢)

(١) سورة آل عمران [آية ١٨١].

(٢) سورة غافر [آية ٧].

فالوقف على النار لازم، ووصله مع الذين يحملون العرش ومن حوله حرام قطعاً، والوقف على من حوله أيضاً حرام، لإيهام فساد المعنى، وكقوله تعالى:

﴿ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(١) ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾^(٢)

فالوقف على الخاسرين كاف، ولا يجوز وصله بما بعده، وكقوله تعالى:

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٣)

فالوقف على فبعث حرام، والوقف على غراب حرام، وكقوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾^(٤)

فالوقف على لا يستحي حرام، ووصله بما بعده لازم، والوقف على فما فوقها كاف، وأمثلة ذلك كثيرة جداً، ولقد خصص العلماء هذا الفن بتأليف كثيرة، ظهر منها مبلغ اعتنائهم بعلم الوقف والابتداء.

(١) سورة المائدة [آية ٣٠].

(٢) سورة المائدة [آية ٣٢].

(٣) سورة المائدة [آية ٣١].

وقوف النبي صلى الله عليه وسلم:

جمع الشيخ الإمام، أبو عبد الله محمد بن عيسى المغربي، وقوف النبي صلى الله عليه وسلم، التي ثبتت عنه فقال: إنها سبعة عشر وقفاً والمطلوب عدم مجاوزتها حين القراءة لمتابعته صلى الله عليه وسلم ولحصول الخير والبركة بالاعتداء به.

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (١)

الأول: في سورة البقرة: قوله تعالى:

﴿فَاسْتَقِيمُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (٢)

الثاني: في سورة البقرة أيضاً قوله تعالى:

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ (٣)

الثالث: في سورة آل عمران قوله تعالى:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٤)

الرابع: في سورة المائدة قوله تعالى:

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (٥)

الخامس: في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (٦)

(١) سورة الأحزاب [آية ٢١]

(٢) سورة البقرة [آية ١٤٨]

(٣) سورة البقرة [آية ١٩٧]

(٤) سورة آل عمران [آية ٧]

(٥) سورة المائدة [آية ٣١]

(٦) سورة المائدة [آية ٤٨]

السادس: في سورة المائدة قوله تعالى:

﴿ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ﴿١﴾

السابع: في سورة يونس قوله تعالى:

﴿ أَنْ أُنْذِرَ النَّاسَ ﴿٢﴾

الثامن: في سورة يونس أيضا قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِي وَرَقِي إِنَّهُ لَحَقُّ ﴿٣﴾

التاسع: في سورة يوسف قوله تعالى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴿٤﴾

العاشر: في سورة الرعد قوله تعالى:

﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٥﴾

الحادي عشر: في سورة النحل قوله تعالى:

﴿ وَاللَّاتِعَمَ خَلَقَهَا ﴿٦﴾

الثاني عشر: في سورة لقمان قوله تعالى:

﴿ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴿٧﴾

(١) سورة المائدة [آية ١١٦]

(٢) سورة يونس [آية ٢]

(٣) سورة يونس أيضا [آية ٥٣]

(٤) سورة يوسف [آية ١٠٨]

(٥) سورة الرعد [آية ١٧]

(٦) سورة النحل [آية ٥]

(٧) سورة لقمان [آية ١٣]

الثالث عشر: في سورة غافر قوله تعالى:

﴿ أَنْتُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾^(١)

الرابع عشر: في سورة النازعات قوله تعالى:

﴿ فَحَسَّرَ ﴾^(٢)

الخامس عشر: في سورة القدر قوله تعالى:

﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾^(٣)

السادس عشر: في سورة القدر أيضا قوله تعالى:

﴿ مِّنْ كُلِّ أَمْرِ ﴾^(٤)

السابع عشر: في سورة الفتح أو النصر قوله تعالى:

﴿ وَأَسْتَغْفِرُهُ ﴾^(٥)

(١) سورة غافر [آية ٦]

(٢) سورة النازعات [آية ٢٣]

(٣) سورة القدر [آية ٣]

(٤) سورة القدر أيضا [آية ٤]

(٥) سورة الفتح أو النصر [آية ٣]

علم الرسم:

علم الرسم من أجل العلوم القرآنية قدراً وأعظمها دُنْيَا وأخرى، لأن فيه رسم كتاب الله تعالى، وضبط أوجهه، وقراءاته، ويكفي في ذلك أنه خط زيد بن ثابت، رضي الله تعالى عنه وعن باقي الصحابة، فلقد اشتهر بين الصحابة أنه لم يكتب شيئاً من القرآن إلا بعد التثبت فيه بشهادة عدلين، يشهد أن تلك الآية كتبت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك نكتة لطيفة، وحكمة ظريفة، ولقد كان زيد بن ثابت رضي الله عنه أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكاتب وحيه، لذلك قال العلماء من طعن في شيء من هجاء القرآن فهو كالطاعن في تلاوته، فرسم القرآن سنة متبعة باتفاق الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، بل بإجماع سائر المجتهدين، فهو أمر إجماعي، فوق أنه توفيق، لأن القرآن كتب كله في العهد النبوي، غير أنه لم يكن مجموعاً في مصحف وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يخشى أن تنسخ بعض الآيات، هذا شيء، والشيء الآخر، دوام استمرار نزول الوحي، على النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يخفى أن ذلك من أكبر الموانع لجمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أما بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى فلا بأس بجمعه لأن الوحي قد انقطع، وأصبح نسخ بعض الآيات غير موجود، ففي الحالة هذه ألهم الله الخلفاء الراشدين، رضوان الله عليهم أجمعين، نقل القرآن الكريم في مصاحف عدة، بعد أن جمعوه جمعاً صحيحاً متقناً معتنى به كل الاعتناء، فلقد اجتمع على كتابة المصاحف، حين كتبت، اثنا عشر ألفاً من الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فأصبح بذلك خط المصاحف سنة متبعة، لا يجوز لأحد أن يخالفه في الحذف والإثبات، والزيادة، والنقصان، والقطع، والوصل، والإبدال، والتجريد عن النقط، والحركات والسكون، ومعلوم من فن الأصول إن كل ما فعل بحضرتة صلى الله عليه وسلم وأقره أصبح سنة واجبة الاتباع، لأنه مقرر في العلم، أن السنة هي قوله، أو فعله، أو إقراره، ولقد اجتمع في رسم القرآن القول والإقرار، فالشأن فيه كل التوفيق كترتيبه الآن في المصاحف، فهو بإشارة منه صلى الله عليه وسلم، فكان جبريل عليه السلام، يوقف النبي صلى الله عليه وسلم على مواضع الآيات،

ويقول له ضع آية كذا في موضع كذا، قال البيهقي في شعب الإيمان، من يكتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغيروا مما كتبوه شيئاً فإنهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة منّا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم.

قال الشيخ عبدالعزيز الدباغ رضي الله تعالى عنه: وللحروف المقطعة في أوائل السور أسرار إلهية، وأغراض نبوية، حتى إنه اندرج فيها جميع ما في سورها، فكل ما في سورة داود عليه السلام مندرج في ص، وكل ما في سورة القلم في ن، وهكذا باقي السور الأربع عشرة المبدوءة بحروف مقطعة كالم، والمر، والمص، وكهيعص، وطس، وطسم، وحم، وحم عسق، وطه، ويس، ون، وص، وق، والعلماء لا يهتدون لذلك حتى ظنوا أن هذه أسماء للسور، وأنها من الحروف المهملة التي ليس وراءها معان، وكلهم حجبوا عن الاطلاع على الأسرار التي فيها، قال العلامة العاقب في نظمه كشف العمى:

والخط فيه معجز للناس	وحامدٌ عن مقتضى القياس
لا تهتدي لسره الفحوّل	ولا تحومُ حوله العقولُ
قد خصه الله بتلك المنزلة	دون جميع الكتب المنزلة
ليظهر الإعجازُ في المرسوم	منه كما في لفظه المنظوم
فما أتى من صورةٍ فريدة	فيه وحذف أحرف عديدة
والأحرف التي يهجي القارئ	بها هجاء الأداة الصغار
فكل ذا العلة مُقدّرة	وحكمةٌ عن الجبّ مُحدّرة

وأول من وضع الشكل أبو الأسود الدؤلي بطلب زياد بن سمين، عامل معاوية فوضعه نقطاً حمراء فوق الحروف وتحتها وعلى يمينها.

وأول من وضع نقط الإعجام نصر بن عاصم الليثي، مستعيناً بأستاذه يحيى بن يعمر العدواني، بطلب الحجاج، عامل عبد الملك بن مروان.

وأول من غير النقط الحمر إلى الحروف الصغيرة؛ الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ بعد انقراض دولة الأمويين؛ ومن هذا نعلم أن مصاحف عثمان بن

عفان أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه؛ كانت صالحة لأن تقرأ على أوجه شتى حسب ما يحتمله رسمها، فكانت الرواية هي المخصصة لبعض هذه الأوجه دون بعض، وبسبب تعدد الروايات، تعددت القراءات، وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار على أن كل رواية متواترة صحيحة السند يقرأ بها متى كان لها وجه في العربية، وكان رسم أي مصحف من المصاحف العثمانية يحتملها، ومن هذا كله يعلم لنا أن المحافظة على رسوم المصاحف العثمانية أمر واجب لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة؛ لأن هذه الرسوم صارت أصلاً من أصول القراءة، ودعامة من دعائم الدين الإسلامي، وفي هذه المحافظة أيضاً احتياط شديد لبقاء القرآن على أصله نقلاً وكتابة، ولقد تحكك في هذه الأمر ابن خلدون في القرن الثامن، ووافقه بعض علماء الأزهر في القرن الرابع عشر الحاضر، فقالوا ما معناه. (إن الصحابة لم تكن استحكمت فيهم إجابة صناعة الخط فأخطأوا في مواضع من رسم القرآن الكريم وتابعهم على هذا الخطأ من بعدهم تبركا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتكلفوا لعملهم هذا تعليقات وحكما لم تخطر في بال الصحابة) وقالوا علماء العصر الحاضر «لو كتبنا القرآن بخطنا المستعمل الآن دون تلك المخالفة لخرجنا من العهدة، وقمنا بالأمر أحسن قيام، كمن كلف بشيء ففعل خيراً منه، لأن الخط الحاضر أحسن مما كانت عليه الخطوط القديمة التي كانت في زمن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين».

ولقد غفلوا جميعاً عن السببين الجوهريين اللذين لأجلهما انعقد الإجماع، وهما أن الرسم القديم واجب المعرفة بقبول ما يقبل من روايات القرآن، ورفض ما يرفض منها، وسد باب الاستحسان مبالغة في التحفظ على القرآن الكريم، فهم قد حفظوا شيئاً وغابت عنهم أشياء ولا يبعد إذا سلم كلام هؤلاء العلماء، أن يذهب غيرهم إلى استحسان الرجوع بالقرآن الكريم إلى اللغة العامية ليعم نفعه كل الطبقات، إلى غير ذلك من السفاسف والرقاعات، والقبائح والترهات، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

مبهمات القرآن:

لا شك أن القرآن الكريم، فيه من الغرائب والعجائب الشيء الكثير، مما لا يخطر على بال، ومن ذلك فن مبهمات القرآن، وهو علم شريف اعتنى به السلف كثيراً؛ فلقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال مكثت سنة أريد أن أسأل عُمرَ عن المرأتين اللتين تظاهرتا على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال العلماء هذا أصل في علم المبهمات في القرآن الكريم، وقال السهيلي هذا دليل على شرف هذا العلم وإن الاعتناء به حسن، ومعرفته فضل، قال وقد روى عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: طلبت اسم الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة حتى وجدته، وهذا أوضح دليل على اعتنائهم بهذا العلم العظيم ونفاسته عندهم؛ وسنأتي هنا على مقدار وافر من المبهمات في القرآن الكريم؛ إيضاحاً للموضوع؛ وتكملة له فتقول:

١ - النصارى: سموا بذلك لأنهم كانوا بقرية يقال لها ناصرة، أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة، وقيل لقولهم نحن أنصار الله، حكاه ابن عساکر.

٢ - ﴿وَذَكِّرْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوِردُوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ (١).

وهم قتادة وجي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب، أخرج ابن عباس، وأخرج الزهري أن منهم كعب بن الأشرف.

٣ - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ (٢).

قاله رافع بن حرملة.

٤ - ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ (٣).

(١) سورة البقرة [آية ١٠٩]

(٢) سورة البقرة [آية ١١٣]

(٣) سورة البقرة [آية ١١٣]

قاله رجل من أهل نجران، أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.

٥ - ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾^(١).

هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام أنا دعوة أبي إبراهيم، أخرجه أحمد من حديث العرياض بن سارية وغيره.

٦ - ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَنِ قِبَلِهِمُ الْبَرَاءُ ﴾^(٢).

قال البراء بن عازب هم اليهود؛ أخرجه أبو داود في الناسخ والمنسوخ؛ قال ابن عساکر وقائلها منهم رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو وكعب بن الأشرف ورافع بن جرملة والحجاج بن عمرو والربيع بن أبي الحقيق، أخرجه ابن جرير وغيره.

٧ - ﴿ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾^(٣).

هي أيام التشريق الثلاثة؛ أخرجه الفريابي عن ابن عمرو عن ابن عباس وقال ابن عباس أيضا أربعة أيام؛ يوم النحر وثلاثة بعده؛ أخرجه ابن أبي حاتم، وقال علي بن أبي طالب ثلاثة أيام يوم الأضحى ويومان بعده؛ أخرجه ابن أبي حاتم.

٨ - ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾^(٤).

هو صهيبي، أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب، وأخرج ابن جرير عن عكرمة إنها نزلت في صهيبي وأبي ذر وجندب بن السكن أحد أهل أبي ذر.

٩ - ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾^(٥).

هو رجب.

(١) سورة البقرة [آية ١٢٩]

(٢) سورة البقرة [آية ١٤٢]

(٣) سورة البقرة [آية ٢٠٣]

(٤) سورة البقرة [آية ٢٠٧]

(٥) سورة البقرة [آية ٢١٧]

١٠ - ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ۖ ﴾ (١).

أخرج الربيع وقتادة ومن طريق ابن جرير عن ابن عباس أنه نهر بين الأردن وفلسطين، ومن طريق العوفي عن ابن عباس أنه نهر فلسطين.

١١ - ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ ۖ ﴾ (٢).

أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس، إن الطير الذي أخذه هو وز، ورأل، وديك، وطاووس، والرأل هو فرخ النعام، وأخرج من طريق حنش عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه الغرنوق، والطاووس، والديك، والحمامة، والغرنوق هو الكركي، وأخرج ابن جرير عن مجاهد؛ إنه الديك، والطاووس، والغراب، والحمام.

١٢ - ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ۖ ﴾ (٣).

قال ابن عباس هم أهل الصفة أخرجه ابن المنذر.

١٣ - ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ ﴾ (٤).

أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب، وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب إنها نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان.

١٤ - ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سُتُورٌ ۖ ﴾ (٥).

هم يهود بني قينقاع

(١) سورة البقرة [آية ٢٤٩].

(٢) سورة البقرة [آية ٢٦٠].

(٣) سورة البقرة [آية ٢٧٣].

(٤) سورة البقرة [آية ٢٧٤].

(٥) سورة آل عمران [آية ١٢].

١٥ - ﴿ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾^(١).

هو الخفاش؛ أخرجه ابن جريج.

١٦ - ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾^(٢).

قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن سعيد وأسد بن عبيد ومن أسلم معهم من اليهود، أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم، وأخرج ابن جرير قال هم عبد الله بن سلام، وأخوه ثعلبة بن سلام وسعيد وميس وأسيد وأسد ابناه.

١٧ - ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾^(٣).

سمى منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وسعد وطلحة وابن عوف وابن مسعود وحذيفة ابن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا، أخرجه ابن جرير من طريق الصوفي عن ابن عباس وسمي عكرمة جابر بن عبد الله.

١٨ - ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾^(٤).

قال ذلك فنحاص اليهودي من بني مرثد، أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وابن جرير عن السدي، وأخرج عن قتادة إنه حيي بن أخطب، قال ابن عساكر، وقيل: هو كعب بن الأشرف.

١٩ - ﴿ مُنَادٍ يَأْتِيَادِي لِلْإِيمَنِ ﴾^(٥).

قال محمد بن كعب هو القرآن، وقال ابن جريج هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخرجهما ابن أبي حاتم وغيره.

(١) سورة آل عمران [آية ٤٩].

(٢) سورة آل عمران [آية ١١٣].

(٣) سورة آل عمران [آية ١٧٢].

(٤) سورة آل عمران [آية ١٨١].

(٥) سورة آل عمران [آية ١٩٣].

٢٠ - ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ (١).

الآية نزلت في النجاشي كما أخرجه النسائي من حديث أنس، وابن جرير من حديث من جابر، وقال ابن جريج نزلت في عبدالله ابن سلام وأصحابه، أخرجه ابن جرير.



خاتمة، نسأل الله حسننها للجميع، القرآن معجز كل الإعجاز، ولم تزل له معان لم تظهر بعد، ولم تزل العلماء تستخرج منه الأدلة الشافية، والبيانات الكافية، لأحوالهم العامة، ومخترعاتهم النافعة، وذلك تأييداً لقوله تعالى:

﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٢).

فمن ذلك قولهم:

إن الدليل من كتاب الله تعالى.

١ - لقطار السكة الحديد البري.. قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (٣).

ومنه أيضا:

٢ - للبواخر البحرية.. قوله تعالى:

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران [آية ١٩٩].

(٢) سورة الأنعام [آية ٣٨].

(٣) سورة سبأ [آية ١٨].

(٤) سورة الرحمن [آية ٢٤].

وقوله تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾ (٣).

٣ - ومنه أيضاً: للإشارات اللاسلكية البرقية .. قوله تعالى:

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (٤).

ومنه أيضاً:

٤ - للطيارة ..

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ (٥).

ومنه أيضاً:

٥ - للحاكي والمُسرة والمذياع أو الفونوغراف والتلفون والراديو.

قوله تعالى:

﴿ سَرَّيْهِمْ أَیْنَمَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١).

ومنه أيضاً:

٨ - في السيرة النبوية الشريفة .. قوله تعالى:

﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

إلى غير ذلك مما استنبطوه واستخرجوه وهو كثير جداً.

(١) سورة إبراهيم [آية ٣٢].

(٢) سورة النحل [آية ٤٠].

(٣) سورة الأنعام [آية ٣٨].

(٤) سورة فصلت [آية ٥٣].

(٥) سورة هود [آية ١٢٠].

سادتي الأفاضل:

أرجوكم إسبال ذيل المعذرة والعفو عن تقصيري، وأخطائي إن كانت، فإن العفو من شأن الكرام، ولا شك أنكم من الكرام، وتكرموا أيها السادة بغض الطرف عن تطويلي الممل، وإتعابي لأسماعكم الكريمة، فإن الموضوع عظيم، اقتضى التطويل، مع كوني اختصرت منه الكثير، والكثير، لمحاضرتي المقبلة في علوم القرآن أيضاً إن شاء الله تعالى فإلى الملتقى القريب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٦ شعبان / ١٣٥٥ هـ







المحاضرة الخامسة

ليلة القدر وتفسير سورتها الكريمة:

سادتي الأفاضل، وأصدقائي الأماثل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: هذه الليلة المباركة، ليلة السابع والعشرين من شهر الأمة المحمدية، شهر رمضان المبارك، هي ليلة القدر التي نزل فيها القرآن كله دفعة واحدة من رب العالمين، إلى سماء الدنيا، ثم كان ينزل بعد ذلك منجماً أي مفرقا بحسب الوقائع والأحوال والحوادث، كما سيأتي إيضاحه، لذلك عنيت في محاضرتي الليلة بالبحث فيها تحت عنوان «علوم القرآن» وقد حصرت المحاضرة كلها في هذا الموضوع وإليكم عناوينها الخاصة:

ليلة القدر: سورة القدر، فضل سورة القدر، وجه الشبه بينها وبين السورة التي تقدمتها، محل نزولها، سبب نزولها، فضل ليلة القدر، أول ما نزل من القرآن، التحقيق في الخلاف الواقع في ليلة القدر، علامات ليلة القدر، معنى ليلة القدر، العبادة في ليلة القدر، إيضاح الحكمة في أن ليلة القدر خير من ألف شهر، تفسير سورة القدر، التحقيق في قوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها: فوائد الأمة المحمدية من ليلة القدر، الدعاء المطلوب في ليلة القدر وهو الدعاء المسنون، تعميم أجرها العظيم على أفراد الأمة، التحقيق في رؤية ليلة القدر للأنبياء وأفراد الأمة المحمدية، مسألة مهمة في الخلاف في تحديد ليلة القدر والفوائد العظيمة الناشئة من هذا الخلاف، وقوف النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة، الختام.

لقد وصف الله تعالى ليلة القدر في الذكر الحكيم بأنها خير من ألف شهر، وخصها بسورة مستقلة بها لم يذكر فيها شيء غيرها وهي قوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ
نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (١).

وسياقي تفسيرها باختصار.

لقد ورد في الحديث الشريف أن سورة القدر تعدل ربع القرآن.
ووجه الشبه بينها وبين السورة التي تقدمتها عظيم جداً وبديع غاية، وجميل
فوق العادة، فقد تقدمتها سورة العلق وفيها قوله تعالى:

﴿ أَقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ
الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٢).

فكان الضمير إلى القراءة في قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ - أي القرآن - إشارة
إلى قوله تعالى:

﴿ أَقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (٣).

ولهذا الاعتبار وضعت هذه السورة الشريفة بعد التي تقدمتها في الترتيب
لعظيم وجه الشبه بينهما.

وسورة القدر هذه هي أول سورة نزلت بالمدينة المنورة لقوله صلى الله عليه
وسلم: «أريت بني أمية يصعدون منبري فشق عليّ ذلك فَأُنْزِلَتْ»

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ
نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (٤)

(١) سورة القدر [الآيات ١-٥].

(٢) سورة العلق [الآيتان ١-٥].

(٣) سورة العلق [آية ١].

(٤) سورة القدر [آية ١-٥].

وفي قوله تعالى:

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(١).

إشارة أخرى إلى أن مدة حكم بني أمية هو عبارة عن ألف شهر لا يزيد ولا ينقص وهكذا كان فمدة حكم بني أمية ثمانون سنة وهي عبارة عن ألف شهر. لقد أبان الحق في هذه السورة الكريمة ما خصت به ليلة القدر التي نحن فيها الآن إن شاء الله تعالى بقوله عز وجل:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٢).

أي القرآن على ما قرره الجمهور وقال بعضهم الضمير في قوله «إنا أنزلنا» يعود على جبريل فكأن الله تعالى يقول: «إنا أنزلنا جبريل بالقرآن في ليلة القدر، أو ليالي القدر على ما سيأتي والمراد بالإنزال هنا إنزال القرآن فيها كله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فقد صح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إنه قال: أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله تعالى ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في أثر بعض. ثم قال تعالى:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾^(٣).

وفي ذلك إشارة إلى أن عظم ليلة القدر خارج عن دائرة دراية الخلق، ولا يعلم هذا العظم ولا يعلمه - للخلق إلا الله سبحانه وتعالى ولذلك قال موضحاً ليلة القدر خير من ألف شهر بعد أن قال وما أدريك ما ليلة القدر. قال سفيان بن عيينة: إن كل ما في القرآن من قوله تعالى وما أدريك أعلم الله به نبيه، صلى الله عليه وسلم، وما فيه من قوله تعالى: ﴿وما يدريك﴾ لم يعلمه

(١) سورة القدر [آية ٣].

(٢) سورة القدر [آية ١].

(٣) سورة القدر [آية ٣].

به عز وجل وأول ما نزل من القرآن اقرأ وكان نزولها بحراء نهاراً، وقال بعضهم: إن المراد إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا مفرقاً في ليالي قدر، على أن المراد بليلة الجنس فقد قيل: إن القرآن أنزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين، وكان ينزل في كل ليلة قدر ما يُقدَّر الله تعالى إنزاله في كل السنة ثم ينزله سبحانه منجماً في جميع السنة، والذي عليه الجمهور أنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

واختلفوا في ليلة القدر ف قيل إنها في ليلة إحدى وعشرين وقيل ليلة ثلاث وعشرين وقيل ليلة خمس وعشرين وقيل ليلة سبع وعشرين وقيل ليلة تسع وعشرين.

ففي الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام قال: «قد رأيت هذه الليلة - يعنى ليلة القدر - ثم نسيتها وقد رأيتني أسجد من صبيحتها في ماء وطين»، قال ابو سعيد الخدري وهو الراوي للحديث فمطرت السماء من تلك الليلة - فوق المسجد فابصرت عيناى رسول الله وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين وفي مسلم من صبيحة ثلاث وعشرين. وأخرج أحمد وأبو داود وابن جرير وغيرهم عن بلال قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين» وأخرج ابن نصر وابن جرير في تهذيبه عن معاوية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التمسوا ليلة القدر في آخر ليلة من رمضان»

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن عائشة قالت قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تحرروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان»

وأخرجه ابن أبي شيبه عن أبي ذر أنه سئل عن ليلة القدر فقال: كان عمرو حذيفة وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين. وصح من رواية الإمام أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن حبان وغيرهم أن زَرَّ بن حُبَيْش سأل أبا كعب عنها فحلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين. فقال له بم تقول ذلك يا أبا المنذر؟ فقال بالآية

والعلامة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنها تصبح من ذلك اليوم تطلع الشمس ليس لها شعاع». وبعض الأخبار عن ابن عباس ظاهرة في ذلك وفي بعضها الاستئناس له بما يدل على جلالة شأن السبعة التي قالوا فيها إنها عدد تام من كون السموات سبعا والأرضين سبعا والأيام سبعا والجمار سبعا والطواف بالبيت سبعا والسجود على سبع إلى غير ذلك مما ذكر لما علمتم من الأخبار الصحيحة المتضافرة وهو زمان ضعف البدن وفيه يزيد أجر العمل ووقت قوة الاستعداد للتجليات لمزيد التصفية وفي بعض الأخبار ذكر علامات لها ففي حديث الإمام أحمد والبيهقي وغيره عن عبادة بن الصامت من أماراتها أنها ليلة بلجة صافية ساكنة لا حارة ولا باردة كأن فيها قمراً ساطعاً لا يرمي فيها بنجم حتى الصباح.

وذكر مثل ذلك ابن جرير في تهذيبه وابن مردويه عن جابر ابن عبد الله مرفوعاً، والحكمة في اخفائها الاجتهاد بالعبادة في طلبها ليصادفها من أرادها بأن يُحيي ليالي شهر رمضان كلها كما كان دأب السلف الصالح.

ومعنى ليلة القدر ليلة التقدير، وسميت بذلك لما روى عن ابن عباس وغيره أنه يقدر فيها ويقضي ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة إلى السنة القابلة ومعنى ذلك إظهار تقديره تعالى في ذلك للملائكة، المأمورين بالحوادث الكونية، وإلا فتقديره تعالى للأشياء أزلي قبل خلق السموات والأرض. والعبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر، ولا يَعْلَم مقدار خيريتها إلا هو سبحانه وتعالى وهذا تفضل منه تعالى، وله عز وجل أن يخص من شاء بما شاء ولا تحجير عليه، ورب عمل قليل خيرٌ من عمل كثير.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله تعالى ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك وتقصرت إليهم أعمالهم فأنزل الله تعالى السورة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن علي بن عروة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله تعالى ثمانين عاماً لم يعصوه طرفة عين

فذكر أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون فعجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة فأنزل الله تعالى عليك خيراً من ذلك فقراً عليه :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (١)

قال هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك منه فسرَّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أرى النبي صلى الله عليه وسلم أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف عليه السلام أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم واختلف في أن ليلة القدر تستتبع يومها أم لا؟ فقال الشعبي نعم يومها مثلها. ولذا جاء في وصفها أن الشمس تطلع صبيحتها وليس لها شعاع أي لعظم أنوار الملائكة الصاعدين والنازلين فيها وهذا مما يدل على أن يومها تابع لها.

روى عن كعب أنه قال: إن الله تعالى اختار الساعات فاختار ساعات أوقات الصلاة واختار الأيام فاختار يوم الجمعة واختار الشهور فاختار شهر رمضان واختار الليالي فاختار ليلة القدر فهي أفضل ليلة في أفضل شهر ولقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على العمل فيها فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وأخرج الديلمي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تعالى وهب لأمتي ليلة القدر لم يعطها من كان قبلهم تنزل الملائكة والروح فيها: الروح هو جبريل عند الجمهور، وخص بالذكر لزيادة شرفه مع أنه النازل بالذكر، وقيل ملك عظيم لو التقم السموات والأرض كان ذلك له لقمة واحدة. وقال بعضهم الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة، وقيل حفظة على الملائكة

(١) سورة القدر [الآيات ١-٥].

كالملائكة الحفظة علينا، وقيل خلق من خلق الله تعالى يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الإنس قال تعالى:

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)

قال تعالى:

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢)

وقيل هو عيسى عليه السلام ينزل لمطالعة هذه الأمة وليزور النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل أرواح المؤمنين ينزلون لزيارة أهلهم، وقيل الرحمة، وعلى الأول المعول.

والتنزل إلى الأرض للسلام على المؤمنين فهم ما بين صاعد ونازل أفواجا أفواجا، ويُسئلون حين صعودهم عن حوائج أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيجيبون بأن الله تعالى غفر لصالحهم وشققهم في طالحهم. وروى أن الشيطان لا يخرج في ليلة القدر حتى يُضيء فجرها ولا يستطيع أن يصيب فيها أحداً بخيل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد ولا ينفذ فيها سحر ساحر.

والمراد أنها سبب تام للسلامة والنجاة من المهالك يوم القيامة حتى أن من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

هي حتى مطلع الفجر : قيل في هذا إنه تحديد لها من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ومعنى ذلك أنه لما أخبر الحق سبحانه عنها بأنها خير من ألف شهر وفهم أنها مخالفة لسائر الليالي في الصفة، وكان ذلك فطنة توهم أن ذاتها في المقدار مغايرة لذوات الليالي دفع بقوله تعالى:

﴿هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^(٣)

(١) سورة النحل [آية ٨].

(٢) سورة المدثر [آية ٣١].

(٣) سورة القدر [آية ٥].

أي لم تخالف سائر الليالي في ذلك وإن خالفتها في الفضل والخيرية.
وقرأ ابن عباس وعكرمة والكلبي «من كل أمرىء» بهمز في آخره أي تنزل من
أجل كل إنسان أي من أجل ما يتعلق به مما قدر في تلك الليلة أو من أجل
مصلحته من الاستغفار له على أن المراد بذلك كل امرئ مؤمن.

ويسن الدعاء في هذه الليلة المباركة وهي أحد أوقات إجابة الدعاء.
أخرجه الإمام أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة وغيرهم عن
عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قلت يارسول الله: إن وافقت ليلة القدر فما
أقول: قال قولي: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».
وقال سفيان الثوري الدعاء في تلك الليلة أحب من الصلاة.

وأخرج البيهقي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«من صلى المغرب والعشاء في جماعة حتى ينقضي شهر رمضان فقد
أصاب من ليلة القدر بحظ وافر»

وأخرج مالك وابن أبي شيبة وابن زنجويه والبيهقي عن سعيد بن المسيب
قال: «من شهد العشاء ليلة القدر في جماعة فقد أخذ بحظه منها».

وقال: أبو حفص بن شاهين على ما حكاه ابن رجب إن الله تعالى لم يكشفها
لأحد من الأولين والآخرين ولا النبيين والمرسلين في يوم ولا ليلة إلا نبينا صلى
الله عليه وسلم فإنه لما أنزلها عليه وعرفه قدرها أراه عليه الصلاة والسلام إياها
في منامه وعرفه في أي ليلة تكون، فأصبح عالماً بها وأراد أن يخبر بها الناس
لسروره فتلاحى بين يديه رجلاً فأنسيها صلى الله عليه وسلم وأمر بطلبها في
ليالي العشر الأواخر لأنهم لا يرونها مكاشفة أبداً ولا يراها أحد بعده صلى الله
عليه وسلم أصلاً فأمروا بذلك ليُلْتَمَس فضلها في الليالي المسماة.

وحديث أنه صلى الله عليه وسلم رآها ونسيها قد رواه الإمام مالك والإمام
أحمد، والبخاري ومسلم وغيرهم وهو مما لا تردد في صحته.

وفي بعض الأخبار ما يدل على أن رؤيتها مناماً وقعت لغيره صلى الله عليه
وسلم: ففي صحيح مسلم وغيره عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع
الأواخر فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرى رؤياكم قد تواطأت في
السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر».

مسألة مهمة:

لقد وقع الخلاف في تحديد ليلة القدر لحكمة ظريفة وفائدة طريفة وللرحمة
بالأمة الإسلامية المحمدية، ومعنى ذلك أن الأيام تختلف في تحديدها باختلاف
البلدان والليالي كذلك ومثل ذلك نقول في الأشهر والأعوام، فإن المطالع يختلف
اختلافا عظيما عن بعضها فالليل عند قوم نهار عند آخرين والليل عند قوم بعضه
ليل وبعضه نهار عند آخرين كأهل بعض العروض الطويلة البعيدة عن خط
الاستواء بل قد تنقضي أشهر بليل ونهار على قوم ولم ينقض يوم واحد في بعض
العروض ومن هنا نفهم أن الشهر دخولاً وخروجاً مختلف بالنسبة إلى سكان
البيسطة فيكون القول بوترية ليلة القدر المباركة بالنسبة إلى قوم وبشفقيها
بالنسبة إلى آخرين كما ورد في الحديث الشريف.

أما التعبير بالليلة مع ملاحظة ما تقدم في هذه الحكمة فهو بالنسبة للمكان
المنزل عليه القرآن عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وغالب المؤمنين وقتئذ به،
أما البلدان التي خصها الله تعالى بالنسبة للحجاز - وهو الذي فيه الكعبة
المقدسة - وهي النقطة الوسطية بالنسبة للعالم كله - بأن يكون ليل أهل الحجاز
نهارهم ونهارهم ليلهم فإنها لم تعمر بالمسلمين بل لا تكاد تعمر بهم حتى يرث
الله الأرض ومن عليها، ولو فرضنا أنها عمُرت بالمسلمين فإن فضل الله أوسع
من أن يحصرها عنهم ولا يبعد أن يعطيهم الله تعالى أجرها أن اجتهدوا في
الحصول عليها.

ولا يبعد أن سن الاجتهاد في يومها وليلتها فيه رمز لذلك.
وهذا البحث أقوى الأبحاث والأمر فيه مما لا مجال للعقل فيه ولذلك أمثلة
عدة فمن ذلك ساعة الإجابة من يوم الجمعة وغيره وغيره.
ولقد خست هذه السورة الكريمة بوقفين من الوقوف النبوية فإن الوقوف

النبوية في القرآن كله سبعة عشر وقفا أوضحناها في محاضراتنا السابقة وقلنا هناك أن سورة القدر هذه فيها من وقوف النبي صلى الله عليه وسلم وقفان من السبعة عشر وهما قوله تعالى:

﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (١).

وقوله:

﴿ مِّنْ كُلِّ أَمْرِ ﴾ (٢).

ويبدأ بسلام ويوقف عليها بمفردها، أو بضمها مع ما قبلها، أو بوصلها مع ما بعدها، وهذا آخر ما يسر الله لي في خصوص ليلة القدر وما فيها وإنني أرجو أن أكون قد وفقت إلى إعطائها حقها من جهة العلم وأسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً إلى إعطائها حقها من جهة العمل ورجائي عدم المؤاخذه في هذا التطويل إن كان فالأمل في كرمكم عظيم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٦/٢٧ رمضان ١٣٥٥ هـ



(١) سورة القدر [آية ٣].

(٢) سورة القدر [آية ٤].



المحاضرة السادسة

١ - إعجاز القرآن الكريم.

٢ - العلوم المستنبطة من القرآن الكريم.

سادتي الأفاضل، وأصدقائي الأماثل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محاضرتي هذه الليلة من سلسلة محاضراتي السابقة في البحث في علوم القرآن الكريم إذ ليس ألد عندي من البحث في القرآن الكريم وعلومه على قدر المستطاع، فعنوان محاضرتي العام (علوم القرآن) والخاص (إعجاز القرآن والعلوم المستنبطة من القرآن) وهذا البحث العظيم في القرآن الكريم ليس بالهين ولا الوصول إليه يعد من الأمور السهلة لأن بحثاً كهذا له شأنه ومقامه ومنزلته ليس في متناول يد الجمهور من الناس لذلك عُنيت بدراسة خاصة في إعجاز القرآن والعلوم المستنبطة من القرآن وما يتصل بذلك وما أنا أقف الآن بين يديكم لأشنف مسامعكم الكريمة بنتيجة هذه الدراسة وسأقدم بين يدي بحثي هذا قطعة جميلة من خطبة بليغة ألقاها أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين وابن عم سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه في القرآن الكريم قال فيها ما يأتي:

«اعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يَغش، والهادي الذي لا يُضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلا قام عنه بزيادة أو نقصان زيادةً في هدى ونقصان من غي، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ولا لأحد قبل القرآن من غني فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على دأؤكم فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغِي والضلال فاسألوا الله به وتوجهوا إليه بحبه ولا تسألوا به خلقه إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله

واعلموا أنه شافع ومشفّع وقائل ومصدق وإنه من شفّع له القرآن يوم القيامة شفّع فيه ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه فإنه ينادي مناد يوم القيامة إلا أن كل حارث مبتلى في حرّته وعاقبة عمله غير حرّثة القرآن فكونوا من حرّثته وأتباعه واستدلوه على ربكم واستنصحوه على أنفسكم واتهموا عليه آراءكم واستغثوا فيه أهواءكم» وقال في خطبة أخرى:

«كتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعي لسانه وبيت لا تهدم أركانه وعز لا تهزم أعوانه».

وقال أيضاً:

«ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه ألا أن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء داءكم ونظم ما بينكم».

إلى غير ذلك مما أشبع المقام فيه رضي الله تعالى عنه وعن باقي الخلفاء. ومن أغرب ما رأيت في الصحف العربية في هذا الموضوع رسالة نشرت في العام الماضي من المجمع العلمي بألمانيا، بمدينة ميونيخ علقت عليها جميع الصحف وما أنا أنقلها لكم بنصها من مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية تحت عنوان «عناية المستشرقين بالقرآن الكريم وعلومه» قالت:

«الدكتور اوتويرتزل المنيمي الألماني من أفاضل المستشرقين الذين زاروا المجمع العلمي وتعرفنا بهم أخيراً فقد أعجبنا بعلومه وشدة فطنته وطول باعه في علوم القرآن ولا سيما علم القراءات مما زاد في حسرتنا على ما فرطنا في جنب القرآن وعلومه الباعثة لنهضة الأجداد وامتداد سلطان العرب على البلاد وكان همه في زيارة دمشق يسمو إلى زيارة دار الكتب الظاهرية لاستنساخ كتاب التيسير للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني في القراءات السبع ونسخة المكتبة الظاهرية أصح المخطوطات المعروفة لأنها أقدمها وأقربها من عهد المؤلف وقد استنسخها بالتصوير الشمسي كما صور كتاب المسائل لأحمد بن حنبل، وكتاب المصاحف لابن أبي داود، ووعدنا بأن يرسل إلى المكتبة الظاهرية عدة نسخ شمسية أو مطبوعة من هذه المخطوطات النفيسة، وقد أرسل إلينا بعد وصوله لميونيخ رسالة أعرب فيها عن سروره بما استنسخه من كنوز سلفنا

الصالح وأنه قد وجد في دمشق غير العلم والمخطوطات الثمينة شيئاً عظيماً آخر وهو الكرم العربي ولطف الدماشقية النادر وحسن توددهم إلى الغريب مما يدل على كرم أخلاقه وطيب عنصره، وفي هذه الرسالة يعدنا بإرسال نسخ من مطبوعات جامعتهم مثل:

١ - كتاب الشواذ لابن خالويه.

٢ - كتاب طبقات القراء لابن الجزري وهو الكتاب النفيس الذي طبع أخيراً في مصر بتحقيق أستاذه المستشرق الكبير [برجستراسر] ثم يذكر لنا أنه مهتم كل الاهتمام بإعداد تفسير القرآن للقراء للطبع وأنه من أثنى مصادر تاريخ القرآن واللغة العربية وإنه يجد في تعب المتواصل بخدمته هذا التفسير لذة معنوية لا تعادلها لذة ونعيماً روحياً لا يضارعه نعيم، ودرج رسالته هذه إلينا بياناً للعالم الإسلامي ننشره لقراء مجلتنا ليطالعوا على مبلغ عناية المستشرقين بكتابنا المنزل وحديثنا المسلسل وعلى مبلغ إهمالنا لتراث أجدادنا ومفاخر أمتنا وبلادنا وإليك الرسالة:

«إن في المانيا اليوم مشروعاً يستحق اهتمام العالم الإسلامي به ذلك إن المجمع العلمي في ميونيخ قد قرر جمع كل ما يمكن الحصول عليه من المصادر الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه فأخذ على عاتقه تنفيذ هذه الخطة وبدأ بها العلامة المستشرق الكبير «برجستراسر» المتوفى إلى رحمة ربه في سنة ١٩٣٢م وبعد وفاة العلامة «بوجستراسر» قد أولى كاتب هذه الرسالة شرف السير بما بدأ به وما شرع في تنفيذه ويسرني أن أدون هنا ما وصلنا إليه من النتائج وما نرمي إليه من الغايات فنقول:

لما رأينا المصادر الخاصة بالقرآن الكريم والمصاحف القديمة نفسها قد تسرب إلى بعضها التلف على مر الأحقاب وتوالى الأيام وامتدت إليها يد العبث فضلاً عن عدم حفظها في حرز أمين ثم التهام الحريق جزءاً منها بادرنا إلى أخذ صور فوتوغرافية عدة لها، ولقد قصدنا بهذا العمل أن نوفّر الجهود الكثيرة على المشتغلين بفنون القرآن إذ نؤينا أن نجمع كل ذلك في مركز واحد في مدينة ميونيخ بغية تيسير الاطلاع عليها بل وإمكان الحصول على صور منها لمن أراد

ذلك مؤفرين عليه نَصَبَ البحث والتنقيب ومشاور التجوال في أقطار عديدة، ولقد نوينا تسهيلا لمحبي الاطلاع أن ندون كل آية من القرآن الشريف في لوحة خاصة تحوي مختلف الرسم الذي وقفنا عليه في مختلف المصاحف مع بيان القراءات المختلفة التي عثرنا عليها في المتون المتنوعة ومتبوعة بالتفسير العديدة التي ظهرت على مدى العصور وتوالي القرون والغرض الثاني أن تخرج المصادر القديمة المهمة إلى عالم النشر فبدأنا فعلاً بأن نخرج من الكتب القيمة والبحوث المفيدة:

أولاً: كتاب التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، وهذا الكتاب هو بحق أصح الكتب المؤلفة في علم القراءات وهو الأصل الذي نقل عنه الشاطبي نظمه المشهور «حرز الأمانى ووجه التهاني».

ثانياً: كتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط وهو للداني أيضاً.

ثالثاً: كتاب مختصر الشواذ لابن خالويه.

رابعاً: كتاب المحتسب لابن جني - طبع متن هذا الكتاب بحروف لاتينية بين نشرات المجلس العلمي في ميونيخ.

خامساً: غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين محمد بن الجزري المتوفي سنة ٨٣٣هـ.

سادساً: رسالة في تاريخ علم قراءة القرآن «باللغة الألمانية» وبها أسماء جميع المؤلفات التي تبحث عن هذا الموضوع والموجودة الآن في المكاتب المختلفة. وإنني لأمل أن أتبع ذلك كنشر كتاب معاني القرآن للفراء المشهور وهو أقدم التفسيرات الموجودة، وأكثرها فائدة وأعمها نفعاً وكتاب إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري.

والمجمع يرحب بما يتفضل به المشتغلون بهذه الفنون من أسماء المتون المفيدة المتعلقة بهذا الباب مما يساعد على إخراج هذا العمل على أكمل وجه

كما نرجو في وقت قريب أن نُطلع المشتغلين بهذا الفن على ما وصلنا إليه
تعميماً للفائدة وخدمة للعلم.

الامضاء - الدكتور أونوبرتزل

سادتي الأفاضل

لقد سبق لي أن ألقى في محاضراتي السابقة في علوم القرآن ستين حديثاً
في فضل القرآن وها أنا ذا ألقى عليكم عشرين حديثاً في الموضوع نفسه غير
التي ألقيتها في محاضراتي السابقة وبذلك يكون قد تم لنا والله الحمد ثمانون
حديثاً في فضل القرآن الكريم ومقامه العظيم فأقول ومن الله استمد المعونة
والتوفيق. قال عليه الصلاة والسلام.

١ - «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها
وإن أطلقها ذهبت»^(١)

وقال عليه الصلاة والسلام:

٢ - «عرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد
وعرضت عليّ ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية
أوتيتها رجل ثم نسيها»^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام:

٣ - «لكل شيء حلية وحلية القرآن حسن الصوت»^(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام:

٤ - «القرآن تحت العرش له بطن وظهر يُحَاجُّ العباد»^(٤)

وقال عليه الصلاة والسلام:

٥ - «يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل
ما أعطى السائلين، وفصل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على

(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما - رواه الإمام أحمد في مسنده والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه.

(٢) عن أنس رضي الله عنه رواه محمد بن نصر.

(٣) رواه ابن عباس رضي الله عنهما - الطبراني في الأوسط.

(٤) عن ابن عوف رضي الله عنه - رواه الحكيم ومحمد بن نصر.

خلقه»^(١)

وقال عليه الصلاة والسلام:

٦ - «لِقَارِءِ الْقُرْآنِ إِذَا أَحْلَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ أَنْ يَشْفَعَ فِي عَشْرَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلِّهِمْ قَدْ وَجِبَ لَهُ النَّارُ»^(٢)

وقال عليه الصلاة والسلام:

٧ - «مَا فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ مِثْلُ أُمِّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ الْعَبْدِ وَلِلْعَبْدِ مَا سَأَلَ»^(٣)

وقال عليه الصلاة والسلام:

٨ - «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَنْ أَصْلِ دِينِهَا وَجَمَاعَتِهَا عَنْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا ضَالَّةٌ مُضِلَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَعَلَيْكُمْ بَكْتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنْ فِيهِ نَبَأٌ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَنَبَأٌ مَا يَأْتِي بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ مِنْ خَالَفَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ قَصَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ وَنُورُهُ الْمُبِينُ وَشِفَاؤُهُ النَّافِعُ عَصَمَةُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ لَا يَعْوَجُّ فَيَقُومُ وَلَا يَزِيغُ فَيَسْتَقِيمُ وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ»^(٤)

وقال عليه الصلاة والسلام:

٩ - «ابْشُرُوا فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَهْلِكُوا وَلَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا»^(٥)

وقال عليه الصلاة والسلام:

١٠ - «لَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ»^(٦)

وقال عليه الصلاة والسلام:

١١ - «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَتَبَ مَعَ الصَّدِيقِينَ

(١) رواه أبو سعيد رضي الله عنه - للترمذي.

(٢) رواه جابر رضي الله عنه - للطبراني في الأوسط.

(٣) رواه أبي بن كعب رضي الله عنه - للطبراني في الكبير.

(٤) رواه عباد بن الصامت - للإمام أحمد في الزوائد.

(٥) عن ابن شريح الخزامي رضي الله عنه - رواه ابن أبي شيبه والطبراني في الكبير وابن حبان في صحيحه.

(٦) رواه ابن عمر رضي الله عنهما - للطبراني في الكبير.

والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا»^(١)

وقال عليه الصلاة والسلام:

١٢ - «يا حامل القرآن تزين بالقرآن يزينك الله، ولا تتزين به للناس فيشبينك الله، وينبغي لحامل القرآن أن يكون أطول الناس ليلاً إذا الناس ناموا وأن يكون أطول الناس حزناً إذا الناس فرحوا»^(٢)

وقال عليه الصلاة والسلام:

١٣ - «يا أهل القرآن أوتروا فإن الله يحب الوتر»^(٣)

وقال عليه الصلاة والسلام:

١٤ - «يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يارب خلّه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب زده فيلبس حلّة الكرامة، ثم يقول يارب ارض اعنه فيرضي عنه فيقول اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة»^(٤)

وقال عليه الصلاة والسلام:

١٥ - «من استمع إلى آية من كتاب الله، كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة»^(٥)

وقال عليه الصلاة والسلام:

١٦ - «عليكم بالقرآن فإنه كلام رب العالمين وهو منه فآمنوا بمتشابهه واعتبروا بأمثاله»^(٦)

وقال عليه الصلاة والسلام:

١٧ - «إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره»^(٧)

(١) رواه معاذ بن أنس رضي الله عنه - للإمام أحمد في مسنده.

(٢) رواه ابن مسعود رضي الله عنه - للدليمي في مسنده.

(٣) رواه علي رضي الله عنه، لأبي داود - والنسائي - وابن ماجه - وللحاكم في المستدرک.

(٤) رواه أبو هريرة رضي الله عنه - للترمذي، والحاكم في المستدرک.

(٥) رواه أبو هريرة رضي الله عنه للإمام أحمد في مسنده.

(٦) عن جابر رضي الله عنه - الدليمي.

(٧) رواه أنس رضي الله عنه - أبو حامد يحيى بن بلال البزار.

وقال عليه الصلاة والسلام:

١٨ - «أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حدٌ، ولكل حد مطلع»^(١)

وقال عليه الصلاة والسلام:

١٩ - «لا يعذب الله قلباً وعى القرآن»^(٢)

وقال عليه الصلاة والسلام:

٢٠ - «اقرأوا القرآن واتمسوا غرائبه»^(٣)

هذه أيها السادة عشرون حديثاً كمل لنا بها ثمانون حديثاً في فضل القرآن فالحمد لله على ذلك.

سادتي الأفاضل:

اختلف المفسرون في معاني هذه الألفاظ الأربعة: الظاهر، والباطن، والحدو والمطلع المذكورة في الأحاديث المتقدمة ف قيل ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها وقيل ظاهرها الأخبار بهلاك الأولين وباطنها وعظ الآخرين وقيل ظاهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر وباطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق وقيل الظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد أحكام الحلال والحرام والمطلع الإشراف على الوعد والوعيد وقيل الحد منتهى ما أراد الله من معناه.

ومعنى اقرأوا القرآن واتمسوا غرائبه أي داوموا على قراءته واتمسوا معانيه الغريبة بالاستنباط والفهم قال العراقي: رواه ابن أبي شيبة في المصنف وأبو يعلى الموصلي والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف ورواه الحاكم كذلك وقال صحيح عند جماعة وقد رد عليه الذهبي في التلخيص فقال مجمع على ضعفه وقال الهيثمي فيه متروك وقال الصدر المناوي

(١) رواه ابن مسعود رضي الله عنه - للطبراني في الكبير.

(٢) رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه - للديلمي في مسند الفردوس.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه - الديلمي.

فيه: إنه ضعيف وأورده السيوطي في الإتقان وقال ليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن لأن القراءة مع فقدته ليست قراءة ولا ثواب فيها وعلى الخائن في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن وقد أفرد بالتصنيف في غريبه جماعة كأبي عبيدة وأبي عمر الزاهد وابن دريد ومن أشهرها كتاب العزيز فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة تحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري ومن أحسنها المفردات للراغب.

إعجاز القرآن:

سادتي الأفاضل:

هذا الفن من علوم القرآن أفرد بالتصنيف خدمة للقرآن الشريف الكثير من العلماء نذكر منهم على طريق المثال لا على طريق الحصر، العلامة الخطابي والعلامة الرماني والعلامة الزملكاني والإمام الرازي والعلامة ابن سراقه والقاضي أبو بكر الباقلاني قال ابن العربي: ولم يصنف مثل كتابه غيره. والمعجزة الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي وهي إما حسية وإما معنوية عقلية فأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة الإسلامية عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم وذلك لأن الشريعة المحمدية ثابتة باقية على صفحات الدهر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومصدق ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري.

«ما من الأنبياء إلا وأعطي مأمثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا»

قليل في معنى ذلك أن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه العادة في أسلوبه، وبلاغته، وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون مما يدل على صحة دعواه، قال الله تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ (١).

فلولا أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه، ولا يكون حجة إلا وهو معجزة.

وقال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ (٢).

فأخبر تعالى أن الكتاب آية من آياته، كافي في الدلالة، قائم مقام معجزات غيره، وآيات من سواه من الأنبياء.

ولما جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم إلى العرب وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء وتحداهم على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا كما قال تعالى:

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣).

ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِينَ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ

مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ (٤).

ثم تحداهم بسورة مثله في قوله:

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (٥).

(١) سورة التوبة [آية ٦].

(٢) سورة العنكبوت [آية ٥١].

(٣) سورة الطور [آية ٣٤].

(٤) سورة هود [آية ١٣].

(٥) سورة يونس [آية ٣٨].

ثم كرر ذلك في قوله :

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۖ ﴾ ^(١)

فلما عجزوا عن معارضته و الإتيان بسورة تشببه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء منهم نادى عليهم بإظهار العجز منهم، وإعجاز القرآن لهم فقال تعالى :

﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۚ وَلَوْ

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۚ ﴾ ^(٢)

فلو كان في مقدرة فصحاء العرب وخطبائهم معارضة القرآن بعد ذلك لعدلوا إليها قطعاً للحجة ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدثته نفسه بشيء من ذلك بل عدلوا إلى العناد تارة، وإلى الاستهزاء أخرى، فتارة قالوا سحر، وتارة قالوا شعر، وتارة قالوا أساطير الأولين، وكل ذلك من التحير والانقطاع، ولم تعدم العرب الإنصاف من كبرائهم وعقلائهم فقد جاءنا عنهم أن الوليد بن المغيرة وهو من كبارهم لما سمع القرآن يتلى قال: (والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلو عليه وإنه ليحطم ماتحته).

ولقد اختلفوا في إعجازه فقال قوم:

وجه إعجازه هو ما تضمنه من الأخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها.

وقال قوم:

وجه إعجازه : ما فيه من الأخبار عن الغيوب المستقبلية ولم يكن ذلك من شأن

العرب وقال قوم:

وجه إعجازه هو: ما تضمنه من الإخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك

منهم بقول أو فعل كقوله تعالى :

(١) سورة البقرة [آية ٢٣].

(٢) سورة الإسراء [آية ٨٨].

﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ (١).

وقال ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ ﴾ (٢).

وقال القاضي أبوبكر بن العربي وجه الإعجاز في القرآن: ما فيه من النظم والتأليف والترصيف وإنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطبهم: ولهذا لم يمكنهم معارضته: ولا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من أصناف البديع التي أودعوها في الشعر لأنه ليس مما يخرق العادة بل يمكن استدراكه بالعلم والتدريب والتصنيع به كقول الشعر ووصف الخطب والحدق في البلاغة، وأما القرآن فليس له إمام يقتدى به ونحن نعتقد أن الإعجاز في القرآن في بعضه أظهر وفي بعضه أدق وأغمض.

وقال الإمام فخر الدين الرازي وجه الإعجاز فيه الفصاحة والغرابة في الأسلوب والسلامة من جميع العيوب.

وقال العلامة الزملكاني وجه الإعجاز فيه راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف.

وقال ابن عطية: الصحيح والذي عليه الجمهور والحدّاق في وجه إعجازه: إنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه، وذلك أن الله أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة.



(١) سورة آل عمران [آية ١٢٢].

(٢) سورة المجادلة [آية ٨].

العلوم المستنبطة من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١).
وقال:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد أكرمني»^(٣).

وقال: الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وعن باقي الأئمة:

جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن.
وقال أيضاً: جميع ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أحل الله تعالى في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينس شيئاً»^(٤).

وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله تعالى.

وقال ابن مسعود: إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله تعالى.
وقال الإمام الشافعي أيضاً: ليست تنزل بأحد في الدنيا نازلة إلا وفي كتاب الله تعالى الدليل على سبيل الهدى فيها.

وقال أيضاً: سلوني عما شئتم أخبركم عنه في كتاب الله تعالى، وحكى ابن سراقه في كتاب الإعجاز عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال ما من شيء في العالم

(١) سورة الانعام [آية ٣٨].

(٢) سورة النحل [آية ٨٩].

(٣) رواه ابن عمر رضي الله عنهما - للدليمي في مسند الفردوس.

(٤) رواه أبو الدرداء رضي الله عنه - للبزار - والطبراني في الكبير، وللحاكم، وللبیهقي في السنن.

إلا وهو في كتاب الله تعالى .
وقال بعضهم: ما من شيء إلا ويمكن استخراجَه من القرآن وذلك لمن فهمه الله .

وقال ابن أبي الفضيل المرسى في تفسيره: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم بها ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى منه .

سادتي الأفاضل:

لقد أوضحت من علوم القرآن في محاضراتي السابقة الشيء الكثير وخصصت بعض المحاضرات بإيضاح فن أو فنون، منها والآن لضيق الوقت اقتصر هنا على ذكر شيء منها لم أذكره في المحاضرات السابقة فمن ذلك ما ورد في قصة يوسف من البقرات السمان ومن منام صاحبي السجن ومن رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة فسموه العلماء بعد التوسع فيه علم تعبیر الرؤيا واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب الكريم ومن ذلك ما في آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك من ذكر النصف والتثالث والربع والسدس والثمن ومسائل العول وأطلقوا عليه علم الفرائض ومن ذلك الآيات العظيمة الدالات على الحكم الباهرات في الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك وأطلقوا عليه اسم علم المواقيت ومن ذلك النظر إلى جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمباري والمقاطع والمخالص والتلوين في الخطاب والإيجاز والإطناب وغير ذلك وإطلاق اسم علم المعاني والبيان والبدیع عليه ومن ذلك استنتاج علم الهندسة من قوله تعالى:

﴿ أَنْظِرُوا إِلَىٰ ذِي ظُلِّيٍّ ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾ (سورة المرسلات [آية ٣٠]) .

واستنتاج علم الهيئة من تضاعيف سورة من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السموات والأرض وما ثبت في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات واستنتاج علم الجبر والمقابلة من أوائل السور التي فيها ذكر مدد وأعوام وأيام لتواريخ

(١) سورة المرسلات [آية ٣٠] .

أُمّ سالفَة وأن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة وتاريخ مدة أيام الدنيا وما مضى وما
بقي مضروب بعضها في بعض واستنتاج علم النجامة من قوله:

﴿أَوْثَرَقَ مِنْ عِلْمٍ﴾^(١).

فقد فسر به بذلك ابن عباس رضي الله عنه، واستنتاج علم الخياطة من قوله
تعالى:

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾^(٢).

واستنتاج علم الحدادة من قوله تعالى:

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾^(٣).

وقوله تعالى:

﴿وَالنَّالَهُ الْحَدِيدَ﴾^(٤).

واستنتاج علم النجارة من قوله تعالى:

﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٥).

وعلم الغزل من قوله تعالى:

﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾^(٦).

وعلم النسيج من قوله تعالى:

﴿كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا﴾^(٧).

(١) سورة الأحقاف [آية ٤].

(٢) سورة طه [آية ١٢١].

(٣) سورة الكهف [آية ٩٦].

(٤) سورة سبأ [آية ١٠].

(٥) سورة هود [آية ٣٧].

(٦) سورة النحل [آية ٩٢].

(٧) سورة العنكبوت [آية ٤١].

وعلم الفلاحة من قوله تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ^(١)

ومن الغوص في قوله تعالى:

﴿ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴾ ^(٢)

إلى غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى، فهذه ستة عشر علما استنتج العلماء أصولها من القرآن الكريم وسيأتي إن شاء الله تعالى في المحاضرات الآتية غير ذلك من العلوم والفنون ولقد أطلت عليكم، فأرجوا عدم المؤاخذه وإلى الملتقى القريب إن شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٣٥٥/١٢/١٥ هـ

(١) سورة الواقعة [آية ٦٣].

(٢) سورة ص [آية ٣٧].



المحاضرة السابعة

الاقتباس من القرآن الكريم:

سادتي الأفاضل وأصدقائي الأمثل.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

القرآن الكريم، بحر البحور، وشفاء الصدور، وراحة القلوب، وغاية المطلوب، ومصدر العلوم، وباعث الأفكار والفهوم، قال الله تعالى فيه مخاطباً لسيد مخلوقاته صلى عليه وسلم عنه:

﴿وَأَنَّكَ لَتَلَقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (١).

والحكيم هو الذي يضع الأشياء في محالها قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ

الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢).

من حكمة العليم الحكيم أنه جعل القرآن الكريم كاملاً عظيماً لكل أمر جسيم، بحكمة عظيمة، وخطة قديمة، وطريقة مستقيمة، لذلك كان القرآن الكريم، هو المرجع الأول لفطاحل العلماء، فكل منهم أخذ منه ما يوافق مشربه، وكل منهم وجد فيه ضالته وأمنيته، ومرامه وبغيته، وإني أحدثكم في هذه الليلة المباركة إن شاء الله تعالى عن فن غريب، وفي بابه عجيب، من علوم القرآن وهو فن الاقتباس من القرآن الكريم، وهذا الفن كبقية فنون علوم القرآن، خدمه العلماء الأعلام، خدمة عظيمة بالتأليف المفيدة، والبحوث الجديدة، والآراء السديدة، وأفنوا فيه أعمارهم الطويلة، وأوقاتهم الجميلة، غير أن هذا الفن اختصه علماؤه

(١) سورة النمل [آية ٦]

(٢) سورة البقرة [آية ٢٦٩]

بالتوسع فيه بمزيد العناية، وذلك لأنه جميل في موضوعه، لذيذ في تذوقه، عظيم في مغزاه.

ولما رأيت العلماء الأفاضل، قد أولوا هذا الفن الشيء الكثير من عنايتهم، رأيت من الصواب أن أحصر محاضرتي هذه الليلة، فيه فقط، بدون إضافة أي شيء إليه، لأن إفراده بمحاضرة خاصة - في نظري - أجمل وأكمل، وأحسن وأفضل، لذلك أرجو من مكارم أخلاقكم إلفات أنظاركم الكريمة، لما سيأتي في هذا الباب، ولكم الشكر الجزيل على كل حال.

فن الاقتباس من القرآن الكريم، فن جميل في ذاته، يظهر للسامع لأول وهلة، أنه سهل المأخذ، يمكن تناوله بدون أدنى مشقة، مع أن الحقيقة الناصعة التي لا غبار عليها، والتي وقفت عليها بنفسي، هي أنه من السهل الممتنع، والتوفيق في وضعه هو من الله تعالى فقط، لأن وضع الآية الشريفة، في موضع يليق بها، وربط معناها مع ما قبلها وما بعدها، لا يعد من الأمور السهلة الوصول، بل ذلك لا يكون إلا بتوفيق عظيم من الله، ولقد أتيت هنا بأقسام عدة، من نظم ونثر، ومن سهل ظاهر، وصعب شديد، وتركزت لحضراتكم حق التمييز، في الحسن والأحسن، والصحيح والأصح، والجميل والأجمل، والضعيف في لفظه، والسقيم في وضعه، والركيك في تركيبه، فمن هذه الأقسام المتقدمة، نظم البحور الستة عشر، المشهورة من بحور الشعر، والمعروفة في فن العروض والقوافي، على قاعدة الغزل الجميل، المحبب إلى النفوس، مع أوزان البحور المشهورة، والكثيرة التداول وقواعدهم المتبعة في الغالب، ومحل كل بحر من هذه البحور الستة عشر، يآية قرآنية تشهد لما فيه من الغزل البديع، والمعني الجميل، ومن ذلك الاستشهاد بآيات كثيرة من القرآن الكريم في عدة مواقف من الشعر، وفي جملة أبواب من أبواب العروض والقوافي، ومن ذلك تقسيم الآيات القرآنية أو بعضها، إلى الأحكام العامة، المطلوبة للعامة في كل العصور، على نحو ماستمعون إن شاء الله تعالى الآن، ومن ذلك الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم، في عدة مواضع من الجمل النثرية، ومن ذلك، إلى آخر ما سنأتي عليه هنا، في هذه الليلة المباركة إن شاء الله تعالى.

وسنبداً أولاً ببحور الشعر الستة عشر، المنظومة على القاعدة السابقة التي أوضحتها لحضراتكم.

قال الناظم: في البحر الأول من البحور الستة عشر وهو البحر الطويل:-
(١) البحر الطويل:-

طويل على أهل الهوى ليلهم فإن أحبوا وعفوا فالجنون لهم وهب
فعلولن مفاعيلن فعولن مفاعلن «يحلون فيها من أساور من ذهب»

وقال في البحر الثاني وهو البحر المديد:-

(٢) البحر المديد:-

يامديد الهجر هل من كتاب فيه آيات الشفا للسيقم
فاعلاتن فاعلن فاعلاتن «تلك آيات الكتاب الحكيم»
وقال في البحر الثالث وهو البحر البسيط:-

(٣) البحر البسيط:-

إني بسطت يدي ادعو على فئة قد خالفوك عسى تخلو أماكنهم
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن «فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم»
وقال في البحر الرابع وهو البحر الوافر:-

(٤) البحر الوافر:-

غرامي يا لأحبة وفرتة وشاة يا لأزقة راكزوننا
مفاعلتن فاعلتن فعول «إذا امرؤا بهم يتغامزوننا»
وقال في البحر الخامس وهو البحر الكامل:-

(٥) البحر الكامل:-

كملت صفاتك يارشا واولوا الهوى قد يايعوك وحظهم بك قد نما
متفاعلن متفاعلن متفاعلن «إن الذين يبايعونك انما.

وقال في البحر السادس وهو البحر الهزج:-

(٦) البحر الهزج:-

لئن تهزج بعشاق فهم في عشقهم تاهوا

مفاعلين مفاعلين «وقالوا حسبنا الله»
وقال في البحر السابع وهو البحر الرجز:-

(٧) البحر الرجز:-

ياراجزا باللوم في موسى الذي أضحي وعشقي فيه كان المبتغي
مستفعلن مستفعلن مستفعلن «أذهب إلى فرعون إنه طغي»
وقال في البحر الثامن وهو البحر الرمل:-

(٨) البحر الرمل:-

ان رملتم نحو ظبي نافر فاستميلوه بداعي إنسه
فاعلاتن فاعلاتن فاعلن «ولقد راودته عن نفسه»
وقال في البحر التاسع وهو البحر السريع:-

(٩) البحر السريع:-

سارع إلى غزلان وادى الحمى وقل أيا غيد ارحموا صبكمو
مستفعلن مستفعلن فاعلن «ياأيها الناس اتقوا ربكم»
وقال في البحر العاشر وهو البحر المنسرح:-

(١٠) البحر المنسرح:-

تنسرح العين في خديد رشا حياً بكاس وقال خذه بفي
مستفعلن مفعولات مستفعلن «هو الذي أنزل السكينة في»
وقال في البحر الحادي عشر وهو البحر الخفيف:-

(١١) البحر الخفيف:-

خف حمل الهوى علينا ولكن ثقلته عواذل تترنم
فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن «ربنا اصرف عنا عذاب جهنم»
وقال في البحر الثاني عشر وهو البحر المضارع:-

(١٢) البحر المضارع:-

إلى كم تضارعون فتى وجهه منير
مفاعلين فاعلاتن «ألم يأتكم نذير»
وقال في البحر الثالث عشر وهو البحر المقتضب:-

(١٣) البحر المقتضب:-

اقتضب من وشاة هوى من سناك حاولهم
مفعولات مفتعلن «كلما أضاء لهم»
وقال في البحر الرابع عشر وهو البحر المجتث:-

(١٤) البحر المجتث:-

أجتث من عاب ثغراً فيه الحيمان النظيم
مستفعلن فاعلاتن «وهو العلى العظيم»
وقال في البحر الخامس عشر وهو البحر المتقارب:-

(١٥) البحر المتقارب:-

تقارب وهات اسقني كأس راح
وباعد وشانك بعد السما
فعولن فعولن فعولن فعول
«وان يستغيثوا يغاثوا بما»
وقال في البحر السادس عشر وهو البحر المتدارك:-

(١٦) البحر المتدارك:-

دارك قلبي بلمى ثغر في مبسمه لفظ الجوهر
فعلن فعلن فعلن فعل «إنا أعطيناك الكوثر»
وقال غيره من الشعراء في البحر الطويل المتقدم وهو أول البحور الستة
عشر:-

أطال عزولى فيك كفرانه الهوى وآمنت ياذا الطيبي فأنس ولاتنفر
مفاعلين مفاعيلن فعولن مفاعلن «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»

وقال هو أيضاً في البحر المديد المتقدم وهو ثاني البحور الستة عشر:-

لو مددنا بابتهاال يدينا نرتجيكم هلا يكون العطاء
فاعلاتن فاعلن فاعلاتن «أن زعمتم أنكم أولياء»

وقال غيره في بحر مخلع البسيط وهو من البحور الستة عشر:

المعلولة أى التي تدخلها العلل:-

خلعت قلبي بنار عشق تصلى بها مهجتي الحرارة
مستفعلن فاعلن فعول «وقودها الناس والحجارة»

وقال الإمام السيوطى جلال الدين بن عبد الرحمن مضمنا قوله تعالى في
سورة الفجر:

﴿ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ آية رقم ١٩.

قد بلينا في عصرنا بقضاة يظلمون الأنام ظلما عما
«تاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما»
وقال بعضهم مقتبسا قوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ آية رقم ١٩٩.

خذ العفو وامر بعرف كما امرت واعرض عن الجاهلين
ولن في الكلام لجلب الأنام فمستحسن من ذوى الجاه لين
وقال الشيخ حسين المملوك مضمنا قوله تعالى في سورة ياسين:

﴿ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ آية رقم ٣٨.

كم من جهول في الفن سارح ومن عليم في عناء مقيم
قد صارت الأبواب في سرذا وطاشت الناس فقال الحكيم
لايسال الخلاق عن فعله «ذلك تقدير العزيز العليم»

وقال القاضى محيى الدين بن قرناص مقتبسا قوله تعالى في سورة والنازعات.

﴿ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ آية رقم ١٤.

إن الذين ترحلوا نزلوا بعين ناظرة
اسكنتهم في مقلتي فإذا هم بالساهرة»

وقال الصلاح الصفدى مقتبسا قوله تعالى في سورة طه.

﴿ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا ﴾ آية رقم ٦٣ .

يا عاشقين حاذروا مبتسما عن ثغره
فطرقة الساحر إن شككتُم في أمره
يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره
وقال أحد الشعراء مقتبسا قوله تعالى في سورة الفرقان:

﴿ يَلْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴾ آية رقم ٢٧ .

إن كانت العشاق من أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا
فأنا الذي أتلو لهم «ياليتني» كنت اتخذت مع الرسول سبيلا
وقال بعض الشعراء مقتبسا قوله تعالى في سورة مريم:

﴿ وَهَزَى إِلَيْكَ الْجُذْعَ النَّخْلَةَ سَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ آية رقم ٢٥ .

الم تر أن الله أوحى لمريم إليك فهزى الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أحنى الجذع من غير هزة إليها ولكن كل شيء له سبب
وقال بعض الشعراء مضمنا قوله تعالى في سورة الدخان:

﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ آية رقم ١٠ .

سألوني عن الدخان وقالوا هل له في كتابنا آيماء
قلت ما فرط الكتاب بشيء ثم أرخت «يوم تأتي السماء»
وقال بعض الشعراء مقتبسا قوله تعالى في سورة مريم:

﴿ يَبْحَثُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ آية رقم ١٢ .

وما أحلى ما قال:-

أعكف على الكتب وادرس تؤت فخر النبوة
فالله قال ليحيى «خذ الكتاب بقوة»

وقال بعضهم مقتبسا قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿ أَوْلَمْ تُؤْمِن قَال بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لَّيَطْمِئَنَّ قَلْبِي ﴾ آية رقم ٢٦٠ .

أقول لذات حسن قد توارت مضافة كاشح في الحى كامن
أرينى وجهك الوضاح قالت «ألم تؤمن فقلت بلى ولكن»

وقال بعضهم مقتبسا قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ آية رقم ٢٨٢ .

أنلنى بالذي استقرضت خطا

وأشهد معشراً قد شاهدوه
فإن الله خلاق البرايا عنت لجلال هيبتة الوجوه
يقول:

«إذا تداينتم بدين» «إلى أجل مسمى فاكتبوه»

وقال بعضهم مقتبسا قوله تعالى في سورة الانبياء:

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ آية رقم ٣٧ .

يانظرة ماجلت لى حسن طلغته

حتى انقضت وأدامتنى على وجل
عاتببت إنسان عينى في تسرعه

فقال لى: (خلق الإنسان من عجل)

وقال بعضهم مقتبسا قوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ آية رقم ١٧٢ .

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ماجرم فصبر جميل
وان تبدلت بنا غيرنا «فحسبنا الله ونعم الوكيل»

وقال بعضهم مقتبسا قوله تعالى في سورة الانعام:

﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ آية رقم ٦٠ .

أقول لمقلتيه حين ناما وسحر النوم في الأجفان سارى
تبارك من توفاكم بليل «ويعلم ماجرحتم بالنهار»
وقال بعضهم مقتبسا قوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿ لَنْ نَأْلُوَ الْبَرِّحَتَىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ ﴾ آية رقم ٩٢.

خُطَّ في الوجناتِ سطرٌ من بديع الشعر موزون
«لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»
وقال آخر مقتبسا قوله تعالى في سورة الانشقاق:

﴿ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ آية رقم ٦.

ياراضيا بعلومه بين الورى إياك فيها أن يشينك قادح
لتكون مرضيا لها عند الندى «يا أيها الإنسان إنك كادح»
وقال آخر مقتبسا قوله تعالى في سورة الفاتحة:

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ آية رقم ٤.

إلهي تناجيك السماء وأهلها وترجوك أهل الارض حقا وتقصد
تباركت يارحمن أنت رحيمنا «ومالك يوم الدين إياك نعبد»
وقال آخر مضمنا قوله تعالى في سورة عبس:

﴿ قُلِ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرُهُ ﴾ آية رقم ١٧.

يتمنى المرء في الصيف الشتا فإذا جاء الشتا أنكره
ليس يرضى المرء حالاً واحداً «قتل الإنسان ما أكفره»
وقال الشيخ جمال الدين بن نياته مضمنا قوله تعالى في سورة النجم:

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ آية رقم ٩.

وأغيد جارت في القلوب لحاظه
وأسهرت الأجفان أجفانه الوسنى

أَجَلٌ نَظَرًا فِي حَاجِبِيهِ وَطَرَفِهِ

ترى السَّحَرِ مِنْهُ «قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى»

وقال شهاب الدين بن حجر العسقلاني مضمنا قوله تعالى في سورة النساء:

﴿ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ آية رقم ١٤٠ .

خاض العواذل في حديث مدامعى

لما راوا كالبحر سرعة سيره

فحبسته لأصون سر هواكم

«حتى يخوضوا في حديث غيره»

وقال آخر مضمنا قوله تعالى في سورة الاحقاف:

﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَكِنَهُمْ ﴾ آية رقم ٢٥ .

إذا رأيت ذوى ظلم فقل لهم ستندمون وحاذر أن تساكنهم

كم مثلهم في الورى كانوا جبابرة «فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم»

وقال ابن طاهر التميمي البغدادي مقتبسا قوله تعالى في سورة الانفال:

﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ آية رقم ٢٨ .

يامن عدا ثم اعتدى ثم اعترف ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف

أبشر بقول الله في آياته «إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ»

وقال آخر مضمنا قوله تعالى في سورة المائدة:

﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ آية رقم ٦ .

مامصر إلا منزل مستحسن فاستوطنوه مشرقا أو مغربا

هذا وإن كنتم على سفر به «فتيمموا منه صعيدا طيبا»

وقال آخر مقتبسا قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ آية رقم ١٩٥ .

قالت لنا سود عيون الظبي وهل نُسلُّ البيضُ في المعركة
يا عصابة العشاق انجوا «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» .
وقال لسان الدين بن الخطيب مقتبسا قوله تعالى في سورة الهمزة:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ آية رقم ١ .

قال جوادي عندما همزت همزاً عجزه
إلى متى تهمزني «ويل لكل همزة»
وقال حمى الدين بن عبد الظاهر مضمنا قوله تعالى في سورة العنكبوت:

﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَالَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ آية رقم ٤٦ .

بأبي فتاة من كمال صفاتها وجمال بهجتها تحار الأعين
كم قد دفعت عواذلي عن وجهها لما تبدت «بالتى هي أحسن»
وقال أبو جعفر الألبيري البصير مضمنا قوله تعالى في سورة الاعراف:

﴿وَأْمَلِ لَهُمْ إِنَّا كِيدَىٰ مَتِينٌ﴾ آية رقم ١٨٣ .

إذا ظلم المرء فاصبر له فبالقرب يقطع منه الوتين
فقد قال ربك وهو القوى «واملى لهم إن كيدى متين» .
وقال بعضهم مضمنا قوله تعالى في سورة الضحى:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ آية رقم ٦ .

يادر ثغر حبيبتي كن بالعقيق رحيماً
ولا تعض عليه «ألم يجدك يتيماً» .
وقال ابن الرومى مضمنا قوله تعالى في سورة إبراهيم:

﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ آية رقم ٢٧ .

لئن أخطأت في مديحك ما أخطأت في منعى
لقد أنزلت حاجاتي «بواد غير ذى زرع»

وقال آخر مقتبساً معنى قوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَّاءُ لِهَابِئِ النَّاسِ﴾ آية رقم ١٤٠.

فيوم علينا ويوم لنا
وقال آخر بمعناه:-

ومن عادة الأيام أن صروفها
وقال الحريري في معناه أيضاً:-

ياخطب الدنيا الدنية إنها
دارمتي ماضحت في يومها
شرك الردى وقراءة الأكدار
أبكت غدا تباً لها من دار

وقال بعض الشعراء مقتبساً معنى قوله تعالى في سورة الرعد:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ آية رقم ١١.

أيا مجرم ماغير الله نعمة
وقال آخر بمعناه:

ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا
واقتبس آخر قوله تعالى في سورة البقرة.

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ آية رقم ١٩١.

نقتل بحد السيف أهون موقعا
على النفس من قتل بحد فراق

سادتي الأفاضل:

لم يترك القرآن شاردة ولا واردة الا وأتى بها تفصيلاً وإجمالاً. وإني ذاكر لكم الآن إن شاء الله تعالى بعض صفات أمرنا بها الشارع الأعظم صلى الله عليه وسلم وبعض صفات نهانا عنها وسأذكر لكم مع ذكر كل صفة من هذه الصفات المستحسنة والمستهجنة دليلها من القرآن الكريم وذلك على قدر مايتسع له

المقام فأرجو التأمل معي في ذلك.

قال الله تعالى في «الصدق»:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١).

وقال تعالى في «الصبر»:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى في «العلم»:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وقال جل ذكره في «الاتحاد»:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٤).

وقال تعالى في «العفو»:

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٥).

وقال جل من قائل في «الصفح»:

﴿فَاَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٦).

وقال تعالى في «الوفاء بالعهد»:

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٧).

(١) سورة التوبة [آية ١١٩]

(٢) سورة البقرة [آية ١٥٥]

(٣) سورة الزمر [آية ٩]

(٤) سورة آل عمران [آية ١٠٣]

(٥) سورة الشعورى [آية ٤٠]

(٦) سورة الحجر [آية ٨٥]

(٧) سورة الإسراء [آية ٣٤]

وقال في «رد الأمانات إلى أهلها».

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾^(١)

وقال تعالى في «الاقتصاد»:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾^(٢)

وقال تعالى في «بر الوالدين»:

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عَنْكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا
أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ
وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾^(٣)

وقال جل ذكره في «النصيحة»:

﴿ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾^(٤)

وقال: ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾^(٥)

وقال جل جلاله في «الشكر»:

﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾^(٦)

وقال تعالى في «حسن الخلق»:

(١) سورة النساء [آية ٥٨]

(٢) سورة الإسراء [آية ٢٩]

(٣) سورة الإسراء [الآيتان ٢٣، ٢٤]

(٤) سورة القصص [آية ٢٠]

(٥) سورة الأعراف [آية ٦٨]

(٦) سورة إبراهيم [آية ٧]

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١).

وقال تعالى في «الأغضاء والتغافل»:

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴾ (٢).

وقال تعالى في «المدح»:

﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (٣).

وقال: ﴿ سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ ﴾ (٤).

وقال تعالى في «التبرئة والتنزيه»:

﴿ حَسْبُ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوٍّ ﴾ (٥).

وقال ﴿ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ (٦).

وقال تعالى في «الجمال»:

﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ﴾ (٧).

وقال: ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (٨).

وقال: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (٩).

(١) سورة آل عمران [آية ١٥٩]

(٢) سورة الفرقان [آية ٦٣]

(٣) سورة يوسف [آية ٢١]

(٤) سورة الفتح [آية ٢٩]

(٥) سورة يوسف [آية ٥١]

(٦) سورة النور [آية ٢٦]

(٧) سورة غافر [آية ٦٤]

(٨) سورة النمل [آية ٨٨]

(٩) سورة التين [آية ٤]

وقال تعالى في «ذم الكذب»:

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (١).

وقال: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٢)

وقال: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا أُوخْخِلْنِي ﴾ (٣).

وقال تعالى في «التنديد على من يشهد شهادة الزور»:

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾ (٤).

وقال: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ (٥).

وقال تعالى في «الخيانة ونقض العهد»:

﴿ أَوْ كَلِمَا عَهْدٍ وَأَعْهَدَ أَنْبَدَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ (٦).

وقال: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾ (٧)

وقال: ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ (٨)

وقال تعالى في «السخرية»:

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ (٩)

(١) سورة الكهف [آية ٥]

(٢) سورة الانعام [آية ٢٤]

(٣) سورة ص [آية رقم ٧]

(٤) سورة المجادلة [آية ٢]

(٥) سورة البقرة [آية ٥٩]

(٦) سورة البقرة [آية ١٠٠]

(٧) سورة الاعراف [آية ١٠٢]

(٨) سورة الفتح [آية ١٠]

(٩) سورة الحجرات [آية ١١]

وقال تعالى في «ذم البخل وحب المال»:

﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ (١).

وقال تعالى في «جمع المال»:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِشْرِهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَوْمَ يُخَوَّىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (٢).

وقال: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقَدَةِ إِنَّمَا عَلَيْنَا فِي عَمْدٍ مُّمدَّدةٍ﴾ (٣).

وقال: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (٤).

وقال تعالى في «الربا»:

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (٥).

وقال: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (٦).

(١) سورة محمد [آية ٢٨]

(٢) سورة التوبة [آية ٣٤]

(٣) سورة الهمزة [الآيات من ٢ إلى ٩]

(٤) سورة الفجر [الآيتان ١٩، ٢٠]

(٥) سورة البقرة [آية ٢٧٥]

(٦) سورة البقرة [آية ٢٧٦]

وقال تعالى في «التجسس» :

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾^(١).

وقال تعالى في «القتل» :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾^(٢).

وقال تعالى في «الانتحار» :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾^(٣)

وقال :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾^(٤)

وقال تعالى في «الزنا» :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾^(٥)

وقال تعالى في «الخمير والميسر» :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا الْخُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾^(٦)

(١) سورة الحجرات [آية ١٢]

(٢) سورة النساء [آية ٢٩]

(٣) سورة الأنعام [آية ١٥١]

(٤) سورة البقرة [آية ١٩٥]

(٥) سورة الإسراء [آية ٣٢]

(٦) سورة المائدة [آية ٩٠]

وقال تعالى في «العجب والكبر»:

﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ۝ ^(١) ﴾

وقال: ﴿ وَلَا تَصْغِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۝ ^(٢) ﴾

وقال تعالى في «التفريق والاختلاف»:

﴿ نَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۝ ^(٣) ﴾

وقال تعالى في «الجبن والفرار»:

﴿ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخَذَهُمْ فِتْنُهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ ^(٤) ﴾

وقال تعالى «فيمن يأمر بما لا يفعل ويعلم ولا يعمل»:

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ۝ ^(٥) ﴾

وقال: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ^(٦) ﴾

وقال تعالى في «ذم الغفلة»:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ ^(٧) ﴾

(١) سورة القيامة [آية ٢٣]

(٢) سورة لقمان [آية ١٨]

(٣) سورة الحشر [آية ١٤]

(٤) سورة المنافقون [آية ٤]

(٥) سورة البقرة [آية ٤٤]

(٦) سورة الصف [آية ٢]

(٧) سورة الحجر [آية ٧٢]

وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(١).

وقال: ﴿إِذْ قَضَى الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾^(٢).

وقال تعالى في «كفران النعمة»:

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَوَانِ طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٣).

وقال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْنَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤).

وقال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾^(٥).

وقال: ﴿قُلْ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرُهُ﴾^(٦).

وقال تعالى في «الشورى»:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(٧).

وقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٨).

وقال تعالى في «الشفاعة»:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً

(١) سورة الماعون [آية ٥]

(٢) سورة مريم [آية ٢٩]

(٣) سورة المؤمنون [آية ٧٥]

(٤) سورة الشورى [آية ٢٧]

(٥) سورة العلق [آية ٦]

(٦) سورة سورة عبس [آية ١٧]

(٧) سورة الشورى [آية ٣٨]

(٨) سورة آل عمران [آية ١٥٩]

يَكُنْ لَهُ كَفْلٌ مِّنْهَا ﴿١﴾

هذه أيها السادة خمس وثلاثون خصلة منها ماهو جميل ومنها ماهو رذيل اكتفيت بذكرها الآن في محاضرتي هذه وسأوفى الموضوع حقه في محاضرتي المقبلة إن شاء الله تعالى:

وأرى الآن من الصواب أن أذكر لكم جملة من أمثال الناس العامة وما يشهد لها من القرآن صراحة وضمناً:-

فمن الأمثال العامة قولهم: «القتل أنفى للقتل» يوافقه قوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ (٢)

ومن الأمثال العامة قولهم «إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النمل لها حاضرة» يوافقه قول الله تعالى:

﴿وَلِإِنْ عُدْتُمْ عَدَاؤُنَا جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ (٣)

ومن الأمثال العامة قولهم: «لقد وضح الأمر لذي عينين» يوافقه قول الله

تعالى: ﴿الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ (٤)

ومن الأمثال العامة قولهم: «اعط أخاك تمره فإن أبى فجمرة» يوافقه قول

الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٥)

ومن الأمثال العامة قولهم: «سبق السيف العذل» يوافقه قول الله تعالى:

(١) سورة النساء [آية ٨٥]

(٢) سورة البقرة [آية ١٧٩]

(٣) سورة الإسراء [آية ٨]

(٤) سورة يوسف [آية ٥١]

(٥) سورة الزخرف [آية ٣٦]

﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾^(١).

ومن الأمثال العامة قولهم: «لكل مقام مقال» يوافقه قول الله تعالى:

﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ ﴾^(٢).

ومن الأمثال العامة قولهم: «مصائب قوم عند قوم فوائد» يوافقه قوله الله تعالى:

﴿ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سِنَةٌ يُفْرَحُوا بِهَا ﴾^(٣).

ومن الأمثال العامة قولهم: من حفر لأخيه المسلم قليبا أوقعه الله فيه

قريبا» يوافقه قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(٤)

ومن الأمثال العامة قولهم: «كل شاة ستناط برجليها» يوافقه قوله تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾^(٥).

ومن أغرب ما يذكر في هذا الباب قصة ذكرها (عبد الله ابن المبارك) في امرأة لا تتكلم ألا بالقرآن فقال: «خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسواد فتميزت ذاك فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته:

(١) سورة يوسف [آية ٤١]

(٢) سورة الأنعام [آية ٦٧]

(٣) سورة آل عمران [آية ١٢٠]

(٤) سورة فاطر [آية ٤٣]

(٥) سورة المدثر [آية ٣٨]

فَقَالَتْ: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ (١).

قال فقلت لها: «يرحمك الله ماتصنعين في هذا المكان».

قالت: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ هَادٍ لَهُ﴾ (٢).

قال: فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها: أين تريدان؟ قالت:

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۖ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ﴾ (٣).

قال فعلمت أنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس. فقلت لها: أنت منذ

كم في هذا الموضع قالت: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (٤).

قال: فقلت: ما أرى معك طعاما تأكلين؟

قالت: ﴿هُوَ طَعْمُنِي وَسَقَمِي﴾ (٥).

قال: فقلت: فبأى شىء تتوضئين؟ قالت: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا

صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (٦).

قال: فقلت لها: إن معى طعاما فهل لك في الأكل قالت:

﴿ثُمَّ رَأَوْا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (٧).

(١) سورة يس [آية ٥٨]

(٢) سورة الاعراف [آية ١٨٦]

(٣) سورة الإسراء [آية ١]

(٤) سورة مريم [آية ١٠]

(٥) سورة الشعراء [آية ٧٩]

(٦) سورة النساء [آية ٤٣]

(٧) سورة البقرة [آية ١٨٧]

قال: فقلت لها: ليس هذا شهر رمضان قالت:

﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (١).

قال: فقلت لها: قد أبيح لنا الإفطار في السفر: قالت:

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

قال: فقلت: لم لا تكلميني مثل ما أكلتك؟ قالت:

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٣)

قال: فقلت: فمن أى الناس أنت؟ قالت:

﴿ وَلَا تَنْفُ مَالِيكَ بِهِ، عَلِمُ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

مَسْئُولًا ﴾ (٤)

قال: فقلت: قد أخطأت فاجعليني في حل: قالت:

﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ أَلْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٥).

قال: فقلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة؟ قالت:

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ (٦).

(١) سورة البقرة [آية ١٥٨]

(٢) سورة البقرة [آية ١٨٤]

(٣) سورة ق [آية ١٨]

(٤) سورة الإسراء [آية ٣٦]

(٥) سورة يوسف [آية ٩٣]

(٦) سورة النساء [آية ١٢٧]

قال: فأنخت ناقتي فقالت: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أُنْبُصَرِهِمْ﴾ (١)
 قال: فغضضت بصري عنها وقلت لها: اركبي فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة
 فمزقت ثيابها فقالت:

﴿وَمَا أَصْبَحَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (٢)

قال: فقلت لها: اصبري حتى أعقلها: قالت: ﴿فَفَهَمْنَهَا سُلَيْمَنَ﴾ (٣).

قال: فعقلت الناقة وقلت لها: اركبي فلما ركبت قالت: - ﴿سُبْحَنَ الَّذِي

سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ (٤).

قال: فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسرع وأرعى:

فقالت: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (٥).

قال: فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر:

فقالت: ﴿فَاقْرَأْ وَامَّا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ (٦).

قال: فقلت: لها لقد أوتيت خيراً كثيراً

قالت: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَؤُلَآءِ الْاَلْبَابِ﴾ (٧).

(١) سورة النور [آية ٣٠]

(٢) سورة الشورى [آية ٣٠]

(٣) سورة الأنبياء [آية ٧٩]

(٤) سورة الزخرف [آية ١٣]

(٥) سورة لقمان [آية ١٩]

(٦) سورة المزمل [آية ٢٠]

(٧) سورة آل عمران [آية ٧]

قال: فلما مشيت بها قليلا قلت: الك زوج؟ قالت:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن بُدِّلَكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ (١).

قال: فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة. فقلت: لها هذه القافلة فمن لك فيها؟ قالت:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (١).

قال: فعلمت أن لها أولاداً فقلت: وما شأنهم في الحج؟ قالت:

﴿وَعَلَّمَكُم بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٢).

قال: فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت: هذه القباب فمن لك فيها قالت:

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (٣).

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (٤).

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (٥).

قال: فناديت يا إبراهيم يا موسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقروا بهم الجلوس قالت:

(١) سورة المائدة [آية ١٠١]

(٢) سورة الكهف [آية ٤٦]

(٣) سورة النحل [آية ١٦]

(٤) سورة النساء [آية ١٢٥].

(٥) سورة النساء [آية ١٦٤]

(٦) سورة مريم [آية ١٢]

﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرُوا أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ (١).

قال فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدي.

فقالت: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ (٢).

قال: فقلت: الآن طعامكم عليّ حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا: هذه أئمنّا منذ أربعين سنة لا نتكلم إلا بالقرآن مخافة أن نزل فيسجل عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت:

﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣).

سادتي الأفاضل:-

أظن أنى وفيت موضوع الاقتباس حقه فاستمبحكم العذر إذا قصرت أو زلت فالأمل في كرمكم عظيم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٨/٢٩ ذو الحجة ١٣٥٥هـ

(١) سورة الكهف [آية ١٩]

(٢) سورة الحاقة [آية ٢٤]

(٣) سورة الحديد [آية ٢١]



﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغَوِمْ وَأَكْرَامًا ﴾^(١).

وكذا قوله تعالى مخاطبا صفوته من هذا الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾^(٢).

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾^(٣).

٢- واستنبط بعض العلماء دليلا من أجود الأدلة لعلم «أصل المخلوقات» من آيات القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾^(٤).
وكذا قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾^(٥).

٣- واستنبط بعض العلماء أدلة كثيرة «لعلم القيافة والعيافة» وهو قص الأثر تتبع الآثار ومعرفة أخلاق الرجال والمخلوقات من وجوههم وأثارهم وسحنهم من آيات القرآن الحكيم وهى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِمَنْ تَوَسَّيْنَ ﴾^(٦)

وقوله تعالى: ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾^(٧)

(١) سورة الفرقان [آية ٧٢]

(٢) سورة سورة آل عمران [آية ١٥٩]

(٣) سورة الفرقان [آية ٦٣]

(٤) سورة النور [آية ٤٥]

(٥) سورة الانبياء [آية ٣٠]

(٦) سورة الحجر [آية ٧٥]

(٧) سورة البقرة [آية ٢٧٣]

المحاضرة الثامنة

١. استنباط الأدلة من القرآن للعلوم والفنون.

٢. ذكر ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن.

سائتي الأفاضل وأصدقائي الأعزاء..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

من دواعي الفرح والسرور، ومن موجبات الغبطة والانشراح في الصدور، العثور على أدلة جيدة من الآيات القرآنية للعلوم والفنون، إذ لا شك أن الاستئناس بآيات القرآن البينات وإقامة الدلائل والحجج الواضحات، من ثنايا سطورهِ النيرات، أمر جد عظيم، وطريق واضح مستقيم، لذلك أولى العلماء هذا الموضوع عظيم عنايتهم، وبذلوا فيه ثمين أوقاتهم، فنالوا منه القسط الأوفر، وإنني محدثكم في هذه الليلة المباركة إن شاء الله تعالى عن أشياء من هذا القبيل، ومعرج بعد ذلك على فن غريب من علوم القرآن. هو ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن لما في ذلك من اللذة العجيبة، التي إذا أوليناها شيئاً من العناية، استطاعت أن تملك علينا مشاعرنا وحواسنا وقوانا فأقول ومن الله استمد المعونة والتوفيق.

استنبط العلماء عشرة أدلة من القرآن لعشرة فنون.

ها أنا أسردها عليكم مع أدلتها لتعلموا منها مقدار الجهود التي يبذلها العلماء في سبيل خدمة علوم القرآن وآياته.

١- استنبط بعض العلماء لعلم «حسن الأخلاق» دليلاً من القرآن من أوضح الأدلة وأحسنها، وهو قوله تعالى:

وقوله تعالى: ﴿ سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ (٢).

٤- واستنبط بعض العلماء الكرام دليلا بينا واضحا لعلم «النجوم وتشريح الافلاك» وهو قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ (٥).

٥- واستنبط بعض العلماء دليلا قويا لعلم «السعي والاجتهاد والتحصيل» وهو قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٦).

وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ أَمْرٍ إِذَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (٧).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴾ (٨).

٦- واستنبط بعض العلماء الأجلة المعاصرين لعلوم «البلاغة» قوله تعالى:

(١) سورة الفتح [آية ٢٩]

(٢) سورة محمد [آية ٣٠]

(٣) سورة الانعام [آية ٩٧]

(٤) سورة الانبياء [آية ٣٣]

(٥) سورة يس [آية ٤٠]

(٦) سورة التوبة [آية ١٠٥]

(٧) سورة الطور [آية ٢١]

(٨) سورة النجم [الآيات ٣٩ - ٤٠ - ٤١]

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾^(١)

٧ - واستنبط بعض العلماء دليلا لعلم «طبائع الأرض» ولعلم «طبائع المخلوقات» من قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ أَسِنَّكُمْ وَأَوْنِكُمْ ﴾^(٢)

وقوله تعالى: ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ ﴾^(٣)

ومعلوم بداهة أن اللسان الذي هو عبارة عن قطعة لحمية ليس هو المراد من

قوله تعالى: ﴿ وَأَخْلَافُ أَسِنَّكُمْ وَأَوْنِكُمْ ﴾^(٤)

لأن هذه القطعة اللحمية لا تختلف في جسمها وإن اختلفت في حجمها ورسومها وأشكالها وذلك لأن بدائع الصنع في غيرها أكثر فالمراد إذن والحالة هذه - والله أعلم بالحقيقة - بالأسنة هي اللغات ولذلك نقول في التعبير العام اللسان العربي واللسان العجمي كاللسان التركي واللسان الهندي واللسان البخاري... الخ.

٨ - واستنبط بعض العلماء الأجلة علم «الميقات وعلوم الأفلاك والسموات» من قوله تعالى: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾^(٥)

وذلك من طريق علم الحرف فإن عدد «رفيع» بحساب الجمل الكبير ثلاثمائة وستون وهي عدد درج الليل والنهار وإذا اطلقنا للقلم العنان في البحث في كلمات القرآن وآياته وسوره وأجزائه وأقسامه ووقوفه وابتدائه على قاعدة علم

(١) سورة الفرقان [آية ٢٣]

(٢) سورة الروم [آية ٢٢]

(٣) سورة الانعام [آية ١٣٩]

(٤) سورة الروم [آية ٢٢]

(٥) سورة غافر [آية ١٥]

الحرف لأمكننا أن نكتشف منه كل العجائب والغرائب في جميع العصور والدول وتواريخها وأسرارها وهو علم - وايم الحق - من أجل العلوم والذها وأقربها إلى النفوس.

٩ - واستنبط بعض العلماء الأقدمين الألفاظ لعلم «لغة العرب وغيرها من سائر اللغات» قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(١).

أي اسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية والفارسية والعبرانية والسريانية والرومية وغير ذلك فكان آدم وأولاده يتكلمون بها ثم تفرقوا في الدنيا فتعلق كل واحد منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه واضمحل عنه ماسواها لبعد عهده بها وذهب بعض المفسرين إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح وخشين الرعد وخرير المياه وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الطيبي ونحو ذلك ثم تولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ويرجح هذا الرأي الإمام السيوطي فقال: وهذا وجه صالح عندى ومذهب متقبل.

١٠ - وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية الكريمة: «هى هذه الأسماء التى يتعارف الناس بها من إنسان ودابة وأرض وسهل وجبل وبحر وجمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها، وقال ابن جبير: اسم الإنسان واسم الدابة واسم كل شيء، وقال قتادة: علم آدم من اسماء خلقه مالم يعلمه للملائكة فسمى كل شيء باسمه ورد كل شيء إلى جنسه. وقال السيوطى رحمه الله: هذه فضيلة عظيمة ومنقبة جسيمة وخطة شريفة وحالة ظريفة لعلم اللغة، وقال بعض المفسرين علمه في تلك الأسماء ألف حرفة والحكمة الداعية في وضع اللغة العربية أن الإنسان لما لم يكن مكتفيا بنفسه في معاشه ومقيمات معاشه لم يكن له بد من أن يستترد المعاون من غيره ولهذا اتخذ الناس المدن ليتجمعوا ويتعاونوا، ومعنى ذلك أن الإنسان مدني بالطبع فاضطره ذلك إلى توزيع الصنائع وتقسيم الحرف على أبناء جنسه فكل واحد منهم قصر نظره ووقف وقته على حرفة واحدة يشتغل بها

(١) سورة البقرة [آية ٣١]

لأن كل واحد من الخلق لا يمكنه أن يقوم بكل مقاصده ومهامه ورغائبه فحينئذ لا يخلو من أن يكون محل حاجته حاضر عنده أو غائب عنه وبعبارة أخرى متناول يده فإن كان حاضراً بين يديه أمكنه الإشارة إليه وإن كان غائباً عنه فلا بد له من أن يدل على محل حاجته وعلى مقصوده منها وغرضه فيها فوضع الكلام للدلالة على حاجته الحاضرة أمامه والكتابة للدلالة على حاجته النائية عنه والمطلوبة له ولما درس العلماء الأعلام هذا الموضوع دراسة كافية وجدوا أن اللسان أسرع الأجزاء في الحركة وعنده الاستعداد الكافي للتردد ووجدوا أن الكلام هو عبارة عن صوت وحروف فإن تركه المتكلم سدى وغفلاً بدون تقصير فيه امتد وطال وإن قطعه تقطع وإن جزأه تجزأ على حركات أعضاء الإنسان التي يخرج منها الصوت والتي يمر على أكثرها اللسان وهذه الأعضاء هي من أقصى الرئة إلى منتهى الفم ولما تأملوا التأصل كله في ترتيبها وجدوها تسعة وعشرين حرفاً لا تزيد ولا تنقص فأعادوا أنظارهم السديدة فيها فقسموها على المواضع التي تمر بها وهي الحلق والصدر واللثة والشفة ثم رأوا بثاقب نظرهم أن الكفاية لاتقع بهذه الحروف التسعة والعشرين ولا يحصل المقصود بإفرادها فركبوا منها الكلام ثنائياً وثلاثياً ورباعياً وخماسياً وهذا هو الأصل في التركيب وما زاد عن ذلك يستثقل فلم يضعوا كلمة أصلية زائدة على خمسة أحرف إلا بطريق الإلحاق والزيادة لحاجة، وكان الأصل أن يكون بإزاء كل معنى عبارة تدل عليه غير أنه لا يمكن ذلك لأن هذه الكلمات متناهية، وكيف لاتكون متناهية ومواردها ومصادرها متناهية فدعت الحاجة إلى وضع الأسماء المشتركة فجعلوا عبارة واحدة لمسميات عدة كالعين مثلاً للباصرة والجارية والجاسوسية وما أشبه ثم وضعوا بإزاء هذا على نقيضه كلمات لمعنى واحد لأن الحاجة تدعو إلى تأكيد المعنى والتحريض والتقرير فلوكرر اللفظ الواحد لسمح وقبح في نظر السامع والمتكلم ومجه كل منهما ويقال: «الشيء إذا تكرر تكرح» والطباع مجبولة على معاداة المعادات فخالفوا بين الألفاظ مع أن المعنى واحد، ثم إن هذا نفسه ينقسم إلى ألفاظ متواردة وألفاظ مترادفة، فالمتواردة كالخمر نسيمها عقاراً وصهباء وقهوة وسلسالاً، وكالسبع نسيمه ليثاً وأسدأً وضرغاماً، والمترادفة هي التي يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد كما

نقول أصلح الفاسد ولم الشعث ورتق الفتق ورأب الصدع وهذا أيضا مما يحتاج إليه البليغ في بلاغته فيقال خطيب مصقع وشاعر مغلق فبحسن الألفاظ واختلافها على المعنى الواحد ترصع المعاني في القلوب وتلتصق بالصدور ويزيد حسنه وحلاوته وطلاوته بضرب الأمثلة به والتشبيهات المجازية، وهذا ما استعمله الشعراء والخطباء والمترسلون، ثم رأوا أنه يضيق نطاق النطق عن استعمال الحقيقة في كل اسم فعدلوا عنها إلى المجاز والاستفسار، ثم قسموا هذه الألفاظ إلى مشتركة وإلى عامة مطلقة وتسمى متفرقة وإلى ماهو مفرد بإزاء مفرد وإلى غير ذلك مما يطول شرحه. والخلاصة أن السبب في وضع الألفاظ هو أن الإنسان الواحد وحده لا يمكنه أن يستقل بجميع حاجاته بل لابد له من التعاون فيها مع غيره ولا يمكنه هذا التعاون إلا بالتعارف ولا سبيل إلى التعارف إلا بالأسباب الموصلة إليه كالحركات والإشارات والنقوش والألفاظ التي توضع بإزاء المقاصد وبالإستقراء والتتبع وجد أن أيسرها وأفودها وأعمها الألفاظ، أما أنها أيسر فلأن للحروف كفيات تعرض للأصوات العارضة للهواء الخارج بالتنفس الضروري المحدود من قبل الطبيعة الجسمانية دون تكلف، وأما إنها أفود فلأنها موجودة عند الحاجة معدومة عند عدمها، وأما أنها أعمها فلا يمكن أن يكون لكل شيء إشارة كالعائبات والمفقودات ولكن يمكن أن يكون لكل شيء لفظ فلما كانت الألفاظ أيسر وأفود وأعم كانت موضوعة بإزاء المعاني.

هذا وقد شط بنا القلم عن الموضوع الذي نحن بصدده ولكن لنوفيه حقه فلنعد إلى الموضوع ثانياً فنقول.

ذكر ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن الكريم!

سادتي وأصدقائي:-

وجد في القرآن الكريم ماهو متفق في اللفظ مختلف في المعنى وماهو متقارب في القول مختلف في الخبر وماهو على هيئتين في الاستفهام فوق في أحدهما الإيضاح في الغالب ولم يقع في الثاني، ووجد في القرآن الكريم أيضا ماهو مختصر وماهو محذوف وماهو محول وذلك وفق قواعد العرب في كل ذلك.

وها أنا أذكر لكم أمثلة واضحة مفسرة من كل ذلك فأعيروني آذاناً صياغة

وعقلا مفكرا لنستترك في فهم ذلك ولندرك غوامض القرآن الكريم ونتبصر سويا في خططه فأقول:

١- ورد في القرآن الكريم: لفظ المقوى وهو يستعمل للقوى كما يستعمل للضعيف: قال تعالى ﴿مَنْ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾^(١).

أي للضعفاء والأقوياء وصرح بذلك بعض المفسرين واستعملت العرب ذلك في أمثلتهم فقالوا: «الدار أقوت» أي أوشت على الخراب. وقالوا أيضاً:-

«أكثر من ذكر فلان فإنه ذو إبل قوية».

٢- ورد في القرآن الكريم لفظ الرجاء بمعنى الخوف: قال تعالى:

٣- ورد في القرآن الكريم لفظ الظن بمعنى الشك وورد فيه بمعنى اليقين فمن الأول قوله تعالى:

﴿مَالِكُ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾^(٢).

أي مالكم لاتخافون لله عظمة.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ

إِنْ نَظُنُّ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ﴾^(٤).

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَقَّوْنَ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٥).

(١) سورة الواقعة [آية ٧٣]

(٢) سورة نوح [آية ١٣]

(٣) سورة البقرة [آية ٧٨]

(٤) سورة الجاثية [آية ٢٢]

(٥) سورة البقرة [آية ٤٦]

لأنهم لو لم يكونوا مستيقنين لكانوا ضلّالا شكاكاً في توحيد الله.

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ (١).

أي ايقنت ومثله قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ (٢).

٤- وورد في القرآن الكريم كسبت واكتسبت بمعنى واحد كقولك نظرت وانتظرته وقدرت عليه واقدتت عليه وحفظت واحتفظت وذلك في قوله تعالى:

﴿تِلْكَ أُمَمٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (٣).

٥- وورد في القرآن الكريم لفظ اعتدى للفعل السيئ القبيح من المبتدئ والفعل الحسن من المجازى عليه بلفظ واحد وذلك في قوله تعالى:

﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾ (٤).

وتقول العرب فعلت بفلان مثل ما فعل بى أى اقتصصت منه لأن الأول إنما بدأ بالفعل ظالماً والمكافئ إنما أخذ حقه فقط فالفعلان متساويان والمخرجان متباينان إذا كان الأول ظالماً والثاني مجازياً.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً﴾ (٥).

وذلك كقول العرب الجزاء بالجزاء والأول ليس بجزاء فالأولى سيئة حقيقة لأنها صدرت من ظالم على مظلوم والثانية ليست بسيئة تكتب على فاعلها وإنما سميت سيئة مجازاً لأنها مثل الأولى في الفعل وليست مثلها في الحقيقة.

(١) سورة الحاقة [آية ٢٠]

(٢) سورة الكهف [آية ٥٣]

(٣) سورة البقرة [آية ١٣٤]

(٤) سورة البقرة [آية ١٩٤]

(٥) سورة الشورى [آية ٤٠]

٦- وورد في القرآن الكريم لفظ الاستهزاء والمكر والسخرية ونسب ذلك إلى العبد وإلى الرب وذلك في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ۚ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝﴾ (١).

وفي قوله تعالى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ (٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرَآءٌ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيْنَ ۝﴾ (٣).

فالاستهزاء والسخرية والمكر نسبتها للعبد يفهم منها معصية الله وتعد على أوليائه ونسبتها لله جل وعلا يفهم منها إنزاله بهم العذاب الاليم والتنكيل العظيم. وورد في القرآن الكريم الإنزال بمعنى الرحمة تارة وبمعنى العذاب أخرى

فالأول في قوله تعالى:

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۝﴾ (٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۝﴾ (٥).

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرَىٰ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۝﴾ (٦).

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا ۝﴾ (٧).

(١) سورة البقرة [آية ١٤]

(٢) سورة التوبة [آية ٧٩]

(٣) سورة آل عمران [آية ٥٤]

(٤) سورة البقرة [آية ٢٢]

(٥) سورة الفرقان [آية ٤٨]

(٦) سورة الحج [آية ٦٣]

(٧) سورة الانعام [آية ٦]

وفي قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ (١).

والثاني في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حَبَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (٢).

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حَبَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٤).

فلم يذكر المطر إلا عذابا فالأماطر إنزال ولو أريد به الغيث لصلح.

٨- ورد في القرآن الكريم لفظ الرياح بالجمع وأريد به أقل الجمع وهو اثنان

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ (٥).

وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ (٦).

وفي ذلك سر عظيم وكنز جسيم وهو أن السحاب لا تلقح بريح واحدة ولكن تبدأ بريح وتقابلها أخرى.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا هبت الريح: «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» وذلك لأن الله أهلك بالريح الواحدة أقواما فقال تعالى:

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوكُأَبْرِيجَ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (٧).

(١) سورة الواقعة [آية ٦٩]

(٢) سورة الحجر [آية ٧٤]

(٣) سورة البقرة [آية ٥٩]

(٤) سورة الانفال [آية ٢٢]

(٥) سورة الحجر [آية ٢٢]

(٦) سورة الروم [آية ٤٨]

(٧) سورة الحاقة [آية ٦]

وقال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِكُمْ رِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرَحْتُمْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ (٣).

وروى الحديث السابق ابن ماجه في صحيحه بلفظ «اللهم اجعلها رياحا اجعلها رحمة» ومن فسر الرياح بريحين فما فوق استدل على ذلك بقوله تعالى:

﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ (٤).

يعنى أخوين فصاعد.

٩- وورد في القرآن الكريم الكلام وعدمه في موقف واحد وذلك في قوله تعالى:

﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ (٦).

قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه وعن باقي الأئمة في تفسير ذلك: إن مدة عدم النطق ستين سنة لا ينطقون ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثم بعد مضي ذلك يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون.

(١) سورة آل عمران [آية ١١٧]

(٢) سورة الذاريات [آية ٤١]

(٣) سورة يونس [آية ٢٢]

(٤) سورة النساء [آية ١١]

(٥) سورة المرسلات [آية ٢٦]

(٦) سورة الصافات [آية ٢٤]

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾^(١)

أي لا يسأل عن ذنبه ليعلم ذلك من قبله هو ودليل ذلك عند من قاله قوله تعالى:

﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾^(٢)

١٠- وورد في القرآن الكريم الإرسال بمعنى التخلية وبمعنى الإرسال حقيقة

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْزُهُمْ أَرْأَىٰ﴾^(٥).

فإن الشياطين لم يدخلوا في هذا الإرسال حقيقة ولكن مجازا بمعنى التخلية أي خلينا بين الشياطين وبين الكافرين وهذه قاعدة معروفة عند العرب. تقول العرب في أمثالها: (أرسلت حمارك على زرعى) أي لم تحبسه فسمى التخلية بالإرسال ويؤيد هذا قول الشاعر لبيد بن ربيعة:-

فأرسلها العراك ولم يذدها ولم يشق على نفص الدخال

والمعنى أنه أرسل العير أي أثنه تعدو إلى الماء دفعة واحدة مزدحمة ولم يشفق عليها أن تنفص عند الشرب ولم يذدها أي ولم يمنعها مخافة الصياد أي أنه ليس بترعية، وروى فأوردها العراك الخ.

(١) سورة الرحمن [آية ٢٩]

(٢) سورة الرحمن [آية ٤١]

(٣) سورة نوح [آية ١]

(٤) سورة المؤمنون [آية ٤٤]

(٥) سورة مريم [آية ٨٣]

١١- وورد في القرآن الكريم ذكر عاقبة الأمر في أول ذكره وذلك في قوله تعالى:

﴿فَالنَّقْطَةُءَالْفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ (١).

ومع أنهم لم يلتقطوه وهم مقدرين أنه سيعاديهم وسيكون لهم حزنا ولكن تقديره تعالى من أول الأمر أي من أول الالتقاط أنه سيكون لهم عدواً وحزنا وكان مصيره إلى عداوتهم وحزנם.

وورد مثل ذلك في قول الشاعر العربي:-

(ودورنا لخراب الدهر نبينها)

١٢- وورد في القرآن الكريم الاستفهام على هيتين فوق في أحدهما الإيضاح للامر المستفهم عنه غالباً ولم يقع في الثاني فمن الأول قوله تعالى:

﴿وَمَا آذَرْنَاكَ مَا هِيَةَ - ثُمَّ قَالَ - نَارُ حَامِيَةٍ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا آذَرْنَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ - ثُمَّ قَالَ - يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا

وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا آذَرْنَاكَ مَا الْقَارِعَةُ - ثُمَّ قَالَ - يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ

كَالْفَرَّاشِ الْمُبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا آذَرْنَاكَ مَا الْخُطْمَةُ - ثُمَّ قَالَ - نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ الَّتِي تَطْلُعُ

عَلَى الْأَفْعِدَةِ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ فِي عَمْدٍ مُّمدَّدةٍ﴾ (٥).

(١) سورة القصص [آية ٨]

(٢) سورة القارعة [الآيتان ١٠، ١١]

(٣) سورة الانفطار [الآيتان ١٧، ١٩]

(٤) سورة القارعة [الآيات ٢ - ٤ - ٥]

(٥) سورة الهمزة [الآيات ٦ - ٧ - ٨ - ٩]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَبَكَ مَا سَقَرُ - ثُمَّ قَالَ - لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ لَوْ اِحْتِ لِّلْبَشَرِ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ عَشَرَ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَبَكَ مَا يَوْمُ الْفَضْلِ - ثُمَّ قَالَ - وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَبَكَ مَا سَحَابٌ ثُمَّ قَالَ - كَتَبُ مَرْفُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَبَكَ مَا عِلِّيُّونَ ثُمَّ قَالَ - كَتَبُ مَرْفُومٌ يَشْهَدُ الْمَرْفُومُونَ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَبَكَ مَا الطَّارِقُ ثُمَّ قَالَ - النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَبَكَ مَا الْعَقَبَةُ ثُمَّ قَالَ - فَكُ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ (٦).

وفي رواية سبعية ﴿فَكُ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (٧).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَبَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ثُمَّ قَالَ - لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفٍ

(١) سورة المدثر [الآيات ٢٦ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠]

(٢) سورة المرسلات [الآيتان ١٣، ١٥]

(٣) سورة المطففين [الآيات ٨ - ٩ - ١٠]

(٤) سورة المطففين [الآيات ١٩ - ٢٠ - ٢١]

(٥) سورة الطارق [الآيتان ٢، ٣]

(٦) سورة البلد [الآيات ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦]

(٧) سورة البلد [الآيات ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦].

شَهْرٍ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿١﴾.

أما الثاني وهو الذي لم يقع فيه الجواب فذلك في قوله تعالى:

﴿وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي﴾ (٣).

١٣- وورد في القرآن الكريم الاختصار حسب ما اعتادته العرب فمن ذلك قوله

تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ (٤).

فلما كانت القرية والعير لا يسألان ولا يجيبان علم أن المطلوب غيرهما فاسأل
القرية - أي أهل القرية والعير التي أقبلنا فيها - أي ركاب العير. وهذا من قواعد
العرب فإن مجازهم يحذف كثيراً من الكلام إذا كان فيما يبقى دليل على ما يلغي.

١٤- وورد من الاختصار في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ
عُمًى فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٥).

ومعناه أن الذين كفروا يتشبهون بالمنعوق به وهي الشاء وأنتم كمن ينعق
بها.

١٥- وورد من الاختصار في القرآن الكريم ما يأتي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ

(١) سورة القدر [الآيات ٢ - ٣ - ٤ - ٥]

(٢) سورة الاحزاب [آية ٦٣]

(٣) سورة عبس [آية ٣]

(٤) سورة يوسف [آية ٨٢]

(٥) سورة البقرة [آية ١٧١]

أَلِكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴿١﴾

ومعناه وإن من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته .

١٦- وورد في القرآن الكريم من التحويل قوله تعالى: ﴿وَأَيُّنَهُ مِنَ الْكُفُورِ

مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لِنُؤُوءٍ بِالْعُصْبَةِ﴾ (٢).

ويفهم من هذا أن المفاتيح هي التي تنوء بالعصبة مع أن الأمر محرك فبالعصبة - أي الجماعة الأقوياء - هي التي تنوء بالمفاتيح ولذلك أدلة كثيرة من كلام العرب فهم يقولون «أدخلت القلنسوة في رأسى» و «أدخلت الخف في رجلى» مع أن الرأس هي التي تدخل في القلنسوة كما أن الرجل هي التي تدخل في الخف .

وهذا قليل من كثير فما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن الكريم ومما تقارب قوله واختلف خبره فيه ومما جاء على هينتين في الاستفهام ووقع الجواب في واحد ولم يقع الجواب في الآخر، ومما وجد في القرآن الكريم من المختصر والمحذوف والمحول حسب القواعد العربية ولقد أتيت في كل قسم من هذه الاقسام بأمثلة كافية شافية وأظن أنى وفيت الموضوع حقه لأنه عويص والله ولى التوفيق.

١٣٥٦/٢/٢٦، ٢٥ هـ

(١) سورة النساء [آية ١٥٩]

(٢) سورة القصص [آية ٧٦]

فهرس الموضوعات

١ - المحاضرة الأولى :

٩

وتشمل على الآتى :

إن القرآن الكريم هو الأصل لجميع العلوم
والفنون بدون استثناء والدليل على ذلك قوله
تعالى: ﴿ مافرطنا في الكتاب من شىء ﴾ .
وقوله تعالى: ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً
لكل شىء ﴾

وقد اشتمل على جميع العلوم وأسرارها
ماظهر منها وماخفى .

كما اشتمل على جميع الكتب السماوية
السابقة وزاد عليها بالمفصل . والقرآن الكريم
ومافيه من إعجاز كان سبباً في إسلام الكثير من
المستشرقين الذين خاضوا بحوره واستخرجوا
بعض حلله من العلوم التي كان العالم في أمس
الحاجة إليها مثل علم البصمات وغيرها كثير .

٢. المحاضرة الثانية :

وتشمل على الآتى:

ذكر العلوم المستنبطة من القرآن الكريم وما
ألف فيها من كتب قديماً وحديثاً وإيضاح الكثير
من هذه العلوم وقد صدق رسولنا الكريم عليه
أفضل الصلاة وأتم التسليم حيث وصف القرآن
الكريم - «هو الذى لاتفنى عجائبه ولاتنقضى
غرائبه»

ذكر عشرين حديثاً في فضل القرآن الكريم.
وذكر أسرار القرآن الكريم الكامنة في فواتح
السور الاربعة عشر.

وبعض ماورد فيها من أحداث.
ذكر اللغات التي ذكرت في القرآن الكريم
وهى ستة عشرة لغة وضرب أمثلة لكل لغة منها.

٣. المحاضرة الثالثة :

وتشمل على الآتى :

ذكر فضائل القرآن الكريم وآدابه ومقام
حفاظه ورواته وظهور علم القراءات .

ذكر عشرين حديثاً في فضل القرآن الكريم
وأهله غير الأولى التي ذكرت في المحاضرة
الثانية .

ذكر أسماء القرآن الكريم وهى خمسة
وخمسون اسما في كتاب الله .

ذكر حفاظ القرآن الكريم في عهد النبي
صلى الله عليه وسلم من الأنصار والمهاجرين
وذكر فضلهم .

ذكر الصحابة الذين قتلوا في المعارك
الإسلامية مثل (اليمامة) (وبئر معونة) وغيرها .
ذكر الأئمة الأعلام من صحابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم وموقع كل
منهم وكيف انتشر علم القرآن في الأقطار .

ذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم في

تجويد القرآن الكريم وذكر الأحاديث الواردة في ذلك.

ذكر جمع القرآن الكريم وأسباب ذلك ونسخ
عدة مصاحف منه. إيضاح السبعة أحرف
التي نزل بها القرآن الكريم.
ذكر الأئمة العشرة من أئمة القراءات.

٤ - المحاضرة الرابعة:-

٥١

وتشمل على الآتى:

- مقدمة وإيضاح - لنزول القرآن الكريم بلغة العرب / ولسان العرب وبلاغة العرب / وأساليب العرب / وكيفية نزوله.
- ذكر عشرين حديثاً تكمله لستين حديثاً في فضل القرآن وآدابه وفضل حفظته ومعلمه.
- فضل القرآن الكريم وآدابه.
- علم التجويد.
- علم الوقف للابتداء.
- وقوف النبي صلى الله عليه وسلم.
- علم الرسم.
- مبهمات القرآن.
- ما استخرج من القرآن من أدلة شافية وبينات كافية للأحوال العامة والمخترعات النافعة فمن ذلك.
- (دليل قطار السكة الحديد البرى) (البواخر البحرية) (الإشارات اللاسلكية والبرقية) (الطيارة) (الحاكي أو المسرة والمذيع أو

الفوتوغراف و التليفون والراديو) (أشعة
روشنجن) (انتشار النتن المسمى الدخان في
العالم كله) (السيرة النبوية الشريفة) وغيرها
وغيرها.

٥ - المحاضرة الخامسة:

٧٩

وتشمل على الآتى:

ليلة القدر - سورة القدر - فضل سورة القدر
 - وجه الشبه بينها وبين السورة التي تقدمتها -
 محل نزولها - سبب نزولها - فضل ليلة القدر -
 أول منازل من القرآن - الخلاف الواقع في ليلة
 القدر - علامات ليلة القدر - معنى ليلة القدر -
 العبادة في ليلة القدر - إيضاح الحكمة في أن
 ليلة القدر خير من ألف شهر - تفسير سورة
 القدر - تحقيق قوله تعالى [تنزل الملائكة
 والروح فيها] - فوائد الأمة المحمدية من ليلة
 القدر - الدعاء المطلوب في ليلة القدر وهو
 الدعاء المسنون.

٦. المحاضرة السادسة:

٩١

وتشمل على الآتى:

- إعجاز القرآن الكريم والعلوم المستنبطة من القرآن.

- خطبة لأمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين سيدنا علي بن أبي طالب في شأن القرآن الكريم.

- عناية المستشرقين بالقرآن الكريم وعلومه.

- في ألمانيا اليوم مشروع يستحق اهتمام العالم الإسلامي به وهو ان المجمع العلمي في مونيخ قد قرر جمع كل مايمكن الحصول عليه والمصادر الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه.

ذكر عشرين حديثاً في فضل القرآن ومقامه العظيم غير التي ذكرت سابقاً.

- إعجاز القرآن الكريم.

- أوجه إعجاز القرآن الكريم.

- العلوم المستنبطة من القرآن الكريم.

- بعض العلوم المستنبطة من القرآن الكريم
مثل - (علم تعبير الرؤيا) و (علم الفرائض) و

(علم المواقيت) و(علم المعاني والبيان والبديع)
- (علم الحدادة) و (علم النجارة) (وعلم الغزل)
(علم النسيج) و(علم الفلاحة) (وعلم الغوص)
وغيرها كثير.

٧ - المحاضرة السابعة :

١٠٩

وتشمل على الآتى :

الاقتباس من القرآن الكريم.

نظم البحور الستة عشر - المشهورة من
بحور الشعر والمعروفة بفن العروض والقوافي .
(البحر الطويل) - (البحر المديد) - (البحر
البسيط) - (البحر الوافر) (البحر الكامل)
(البحر الهزج) (البحر الرجز) - (البحر الرمل)
- (البحر السريع) (البحر المنسرح) (البحر
الخفيف) (البحر المضارع) (البحر المقتضب)
(البحر المجتث) (البحر المتقارب) البحر
المتدارك).

- ومآقاله العلماء في الشعراء في اقتباس
بحور الشعر - مثل الإمام السيوطى - الشيخ
حسين المملوك - القاضى محيى الدين بن
قرناص - الشيخ صلاح الصفدى - الشيخ
جمال الدين بن نباته - العلامة شهاب الدين بن
حجر العسقلانى - الشيخ ابن طاهر التميمي
البغدادى - الشيخ لسان الدين بن الخطيب -
الشيخ محيى الدين بن عبد الظاهر - والشيخ أبو
جعفر الالبيرى البصير.

- اقتباس بعض الصفات المستحسنة -
- والصفات المستهجنة مثل الصدق - الصبر -
- العلم - الاتحاد - العفو - الصفح - الوفاء بالعهد
- رد الأمانات إلى أهلها - الاقتصاد - بر
- الوالدين - النصيحة - الشكر - حسن الخلق -
- الإغضاء والتغافل - المدح - التبرئة والتنزيه -
- الجمال - ذم الكذب - التنديد على من
- يشهد شهادة الزور - الخيانة ونقض العهد -
- السخرية - التجسس - القتل - الانتحار -
- الزنا - الخمر
- والميسر - ذم البخل وحب المال - جمع
- المال - الربا -
- العجب والكبر - التفريق والاختلاف - الجبن
- والفرار -
- ذم الغفلة - كفران النعمة - الشورى -
- الشفاعة .
- الأمثلة العامة وما يشهد لها من القرآن الكريم
- صراحة وضمنا - مثل (القتل أنفى للقتل) -
- (إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النمل لها
- حاضرة) و(لقد وضح الأمر لذي عينين)
- و (اعط أخاك ثمرة فإن أبى فجمرة)

و (سبق السيف العذل) و (لكل مقام مقال)
- و(مصائب قوم عند قوم فوائد) - و(من
حفر لأخيه المسلم قليلا أوقعه الله فيه
قريبا) و(كل شاة ستناط برجليها).
قصة ذكرها (عبدالله ابن المبارك) في امرأة
لا تتكلم
إلا بالقرآن).

٨ - المحاضرة الثامنة :

١٣٩

استنباط العلماء عشرة أدلة من القرآن لعشرة

فنون وهي:

- ١ - حسن الأخلاق.
 - ٢ - أصل المخلوقات.
 - ٣ - علم القيافة والعيافة.
 - ٤ - النجوم وتشريح الأفلاك.
 - ٥ - السعى للاجتهد والتحصيل.
 - ٦ - البلاغة.
 - ٧ - طبائع المخلوقات.
 - ٨ - الميقات وعلوم الأفلاك والسموات.
 - ٩ - لغة العرب وغيرها من سائر اللغات.
 - ١٠ - أقوال العلماء في هذا الشأن مثل.
- ابن عباس رضى الله عنهما - العلامة ابن
جبير - العلامة السيوطي - أقوال بعض
المفسرين.
- ذكر ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن
الكريم.
- مثل:

(١) لفظ المقوى وهو يستعمل للقوى كما

يستعمل للضعيف

(٢) لفظ الرجاء بمعنى الخوف.

(٣) لفظ الظن بمعنى الشك.

(٤) كسبت واكتسبت بمعنى واحد نظرت
وانتظرت.

(٥) لفظ أعتدى للفعل السيء القبيح من
المبتدى والفعل الحسن من المُجَازِي عليه
بلفظ واحد.

(٦) لفظ الاستهزاء والمكر والسخرية ونسب ذلك
إلى العبد وإلى الرب.

(٧) لفظ الإنزال بمعنى الرحمة تارة وبمعنى
العذاب أخرى

(٨) لفظ الرياح بالجمع وأريد به أقل الجمع وهو
اثنان.

(٩) الكلام وعدمه في موقف واحد.

(١٠) الإرسال بمعنى التولية وبمعنى الإرسال
حقيقة.

(١١) ذكر عاقبة الأمر في أول ذكره.

(١٢) الاستفهام على هيتين فوق في أحدهما

الإيضاح للأمر المستفهم عنه غالباً ولم يقع
في الثاني.

(١٣) الاختصار حسب ما اعتادته العرب.

(١٤) الاختصار في القرآن الكريم كما في الآية
الكريمة رقم (١٧١) في سورة البقرة.

(١٥) الاختصار في القرآن الكريم كما في الآية
الكريمة رقم (١٥٨) من سورة النساء.

(١٦) الاختصار في القرآن الكريم من التحويل
في قوله

(وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا أَنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ
بِالْعَصْبَةِ)

سورة القصص آية رقم ٧٦.

